الذاهبون إلى الشهادة – رواية ألاء غنيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأحبة..

أنزور أستميروف ..أبو حمزة المهاجر ..همام البلوى ..عمر عبد الرحمن

..خطاب..

"البشر اعجب خلق الله ..أعقدهم ..أكثرهم بعدا وقربا فى ذات الوقت

..أكثرهم تناقضا"

نعم أنت فاتنة إنما ..أرى عزة النفس لى أفتنا

إذا كان عندك سحر الجمال ..فسحر الرجولة عندى أنا

ردد "براء " هذه الأبيات منتشيا أمام عينى والده الذاهلتين أمامه ..وأمام النظرة

المندهشة ضحك وقال: أبت ..مابك ؟

أغلق والده الكتاب الذى كان أمامه واستدار بالمقعد للخلف ليضعه فى المكتبة

..

واطفأ مصباح المكتب ثم تطلع إليه:

لم أعتد هذا منك ..كل الشعر الذى سمعته منك طيلة حياتى لم يخرج عن

نطاق "قم فانس الزوجة والوالد وانس الأطفال"

جلس ابنه على حافة المكتب وقال: ليس الأمر هكذا ..إنما هى فقط ابيات

ترويح على النفس لا أكثر..

ووضع وجهه مقابل وجه والده ..يكاد الوجهان يتطابقان تماما إلا أن لحية

الأب أطول من لحية الابن والبياض قد غزاها حتى غالب سوادها.. نفس

الأنف ذى الشمم ..نفس العينين الزرقاوين الأشبه بعينى ذئب أكثر منها عين

بشر..

فيما عذا اختلاف بسيط جدا ..عينى "براء " أشد حدة من عين أبيه ..أشد

حدة كثيرا

عينى تنفضان من تنظر إليه نفضا ..فلا تبقى به ثباتا أو رباطة جأش..

وضع والده يديه فى وجهه وقال: ماذا فعلت بأشياء عمك ..مصحفه ومفكراته ؟

نظر إليه فى دهشة : المفترض انك تعرف إلى اين ذهبت بها يا ابت..

تنهد والده وقال : ما عن هذا أسألك ..تعرف عن ماذا اسأل

عدل منظاره الطبى وقال : وتعيب على أنى أقول نعم أنت فاتنة إنما ؟

والله لقد وقفت مذهولا امام الأمر ولولا سؤالك ما عبر الكلام لسانى أصلا

ابتسم والده فى ود وقال : كيف حال سيرين ؟

هز براء رأسه فى عجب وقال :العجب كيف لرجل مثله ..لطالما تكلم الناس عنه وفيه ..لطالما منعت كتبه ..لطالما هتف أنصار الجهاد بأقواله ..لطالما كان رجلا لا يطوف بالدوائر.. كيف له أن يوصى بأخص ماكان له لها ؟

وهو مارآها منذ سنين ..من ايام الجامعة كما رويت لى ..أى قرابة العشرين عاما..

ليس هذا مايغيظنى ..إنما ما يغيظنى هى..

قال والده : ولطالما أغاظتنا لسنين يابنى ..ولم أعرف ماكانت هى له إلا منذ أيام..

تطلع "محمود " إلى صورة "عصام " التى تحتل ركنا صغيرا فى مكتبته ..وابتسم وقد ادهشه سكون الغرفة بعد أن غادرها براء. همس للصورة فى رفق ..لقد صار براء مثلك يا عصام ..صار مثلك

لا يكون فى مكان إلا كان ملئ السمع والبصر،لا يكون بإمكانك أن تتطلع إلى سواه..

كان قلبه يفيض بدمع لا يخرج للعيون.. ينبض بندم أنه لم يمت على زنده كما كان يتمنى..

ينبض بذكريات ماكانت لتموت أبدا.. ذاك رفيق دربه ..والسبب فى هدايته ..وما كان الفراق ليسهل أبدا..

كانت صورة عصام له وهو فى الثالثة والعشرين ..فى السنة الأخيرة فى الجامعة ..

كان هو من التقطها بعد نقاش مطول دام بينهما حول حرمة التصوير من عدمه ..أنهى النقاش عصام بقوله :التقطها يا محمود ..لربما كانت الصورة الوحيدة التى تلتقطها لأحد..

بعد أن التقطها له سأله عصام : مع من شريت هذه الكاميرا ؟ والله لا يخرج منها صاحبك آية الله ذاك..

ابتسم حينها لفراسته وقال : نعم ..هو مهدى عبد الرضا ..صاحب خبرة فى آلات التصوير يا عصام..

ابتسم عصام وقال : وغدا يصبح صاحب خبرة فى أشياء أخرى إذا عاد إلى كربلاء..

هذا إن عاد إلى كربلاء.. وضع الصورة فى موضعها وأغلق زجاج المكتبة عليها ..

وفتح التلفاز ليجد مهدى معمما بعممامته السوداء : لقد أصبحنا أصحاب

خبرة فى التعامل مع هذا الفكر ..تجربة تفجيرات كربلاء علمتنا هذا..

تنهد تنهيدة طويلة وتطلع إلى نقوش الحائط البنية امامه:

بنفسى أنت يا عصام ..طبت حيا وميتا. .

فى الصباح جلس على مقعده المفضل فى الجامعة ..ينتظر المحاضرة ولم تكن

هذه عادة أبدا لبراء ..كان يأتى على الموعد تماما ..لا قبله ولا بعده.. فاجأه

صوت أحمد من خلفه :براء يأتى باكرا ! ماذا حدث للدنيا ؟!

ابتسم فى ود وقال : لا شئ ..أحببت أن تى باكرا ..ومع رحيل الطاغوت عبد

الكريم أريد ان أكون فى استقبال من يخلفه

قال أحمد :تقصد من ستخلفه..

ابتسم : وامرأة أيضا "فخلف من بعدهم خلف! "

قال احمد : لا لقد درست خالد من قبل يقول انها رائعة ..فيما عدا قضية

الالتزام بالطبع..

زم شفتيه فى تعجب : من ؟

قال : سيرين رياض ..راهبة الهندسة كما يقول خالد..

خلع منظاره ليمسح عنه غبار علق به : سيرين ؟؟ لا غيرها ؟

ابتسم احمد : تعرفها ؟

قال فى وجوم : ربما ..ربما أعرفها..

واحترم احمد سكوتا لم يعهده بصاحبه..

كان براء يفكر فى عمه عصام ..هو الذى سماه براء ..هو الذى أورثه تلك

النظرة الذئبية الحادة بن عم أبيه ..ورفيق دربه..

يوم دخل الهندسة منذ عامين وصلته هدية بالبريد لم يكتب عليها عنوان

للمرسل ..أو لعله كتب ولكن محى فى طريقها إليه ..كان طردا بريديا يحمل

"معالم على الطريق " ورصاصة من الفضة ..وبطاقة صور خلفها جامع الملك

فيصل باسلام اباد

كتب عليها بخط لا يشبه غلا خطه هو

على طريق إليك معالمه ..لقد كبرت يافتى..ابو البراء.. عصام..

أفاق من تفكيره على صوت هادئ ناعم يلقى السلام ..كانت امرأة تتعدى الأربعين بثلاث او أربع سنوات لا تزيد..

شعرها بنى قد قصته بشكل يليق بعمرها ..عينيها دافئتان لا تحمل إلا بقايا لألم ..ترتدى منظارا طبيا ..جميلة لم يفن الزمن جمالها ..بها أناقة طبع تليق بمثلها..

عندما وقع بصرها عليه ابتسمت فى ود ..كان يجلس فى الصف الأمامى فأبعدت مكبر الصوت عنها وقالت :كيف حالك يابراء ؟أوأ برأسه بأدب وقال الحمد لله..

أشاحت بوجهها عنه طيلة المحاضرة ..لشدة ما تذكرها تلك العينين بعينيه ..وذاك الأنف ..وتلك النظرة الحادة التى قدر الله لها أن ترها يوم تحب ..أحست بالأم يتسلل إلى قلبها فشدت على يدها..

تذكرته وهو يطرق برأسه أمامها ويهزها ببطئ.. لو أنى أختار الدنيا لأجل بشر لما اخترتها لسواك.. ولكنى لا أختارها...

بعد ان انهت المحاضرة تحلق الطلاب من حولها ..وكان بها سمت ودود قد كبر مع السنين..

أشارت إلى براء بإصبعها أنها تريده بالخارج..

وهو يقف امامها ليسألها ببصر خفيض : خيرا يادكتورة.. ذاك البصر الخفيض ..ذكرها بتلك العينين..

لم يتطلع إليها يوما إلا مرة واحدة.. وكانت لخمس دقائق كاملة ..بعدها أطرق وقال : ومالى إلا ان أستعصم!

عندها ابتسمت وقالت : او تستطيعه يا عصام ؟

قال : هبينى شيئا من ثقتك ! نعم أستطيعه ..لأننى استعصم بالله..

لا بعينين تصيبانى بالغرق.!

التفتت إلى ابن أخيه الواقف أمامها : مفكرات عصام تنقص واحدة ..ثمة حلقة مفقودة فى المنتصف .. لم أقرأها جميعا لكننى مررت عليها.. قال فى خجل :استبقيت واحدة ..بالطبع سأعطيهالك ..أردت قراءتها فحسب.. فى بساطة أدهشته فتحت حقيبتها واخرجت مفكرة خضراء قديمة من مصحف أقدم وقالت : خذ هذه واعطنى التى عندك.

قال : آتيك بها غدا ..واستأذنها ليغادر ..قالت فى ود : تشبهه كثيرا يابنى ...أبلغ سلامى لوالدك..

السواد الذى ترتديه جعله يفكر : أحداد هو ؟؟

فتح المفكرة على المنتصف ..ليجد وريقة بيضاء كتبت عليها ألحان الشيخ إمام "اتجمعوا العشاق فى سجن القلعة"

وفى آخرها فى الوجه الآخر ..وبخط أنثوى ناعم ..لا عليك من كلام المغفل إبراهيم ..والله مافى الدنيا أنقى نفسا منك ..ستعطينى ديوان إبراهيم عزت كما وعدت ..سيرين..

طوال اليوم فى الجامعة وهو يفكر : عمه وهى ؟؟ عجيبة هذه الدنيا..!

فتحت له الباب امه عندما عاد غلى منزله ..ضحك فى دهشة وقال : السيدة صفية ؟!

تكرمت علينا وعدت إلى المنزل متى؟

قالت وهى تدفعه للداخل : ادخل يا احمق .. لم يكن هذا اسبوعا الذى تركتمكما فيه..

قال : أم براء ..صححى حسابك ..أسبوع ويومين..

قالت : شقيقتك وجدتك بالإسكندرية ..ألا أذهب إليهما ..وأنتما ماشاء الله شخصان ناضجان تتحملان المسئولية..

ابتسم فى خبث وجلس متربعا على مقعده المفضل:

أنا أتحمل الغياب ..لكن الغالى محمود حياته من غيرك فوضى ..قال فوضى بالإنجليزية وهو يقلب السين فى نهايتها ثاء..

قالت وغدا تصبح حياتك "مث " بدون امراة ما ..بالقطع لم تكن على وفاق مع والدتها..

قال فى تهكم : "أرى عزة النفس لى أفتنا"

قالت : الله الموعد سبحانه ..قم لغدائك ..تغديت أنا ووالدك..

قال : أنا صائم..

قالت : الحمد لله رزقنى بداوود يصوم الدهر ..إفطارك فى المطبخ..

رآها ترتدى حجابها ..وقبل أن تسدل غطاء وجهها قال فى ذهول :

ستخرجين ؟؟

قالت : درس المسجد يا "داوود " علام تحسب أنى عدت مبكرة ؟؟

فتح التلفاز وقال : جزاكم الله خيرا ..كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته..

أدهشه التفاتها إليه بحرص حقيقى : لو شئت لم أذهب يا بنى ..رعايتك اولى عندى..

قال :لالالالالا ..انا فقط أمازحك ..سبحان الله لا يمزح معهن ابدا

..سأوصلك أنا...

عندما ركبا السيارة شغل المسجل تلقائيا ..كان صوت أبو مازن الذى تربى

عليه "ملكنا هذه الدنيا قرونا"

تطلعت إليه والدته وقالت : تعلم ..كل ماحلمت به لولدى من قبل كنته أنت

..رضى الله عنك..

فى خجل تمتم : لم تكن هذه توصيلة يا أم البراء.. وهى تنزل من السيارة قالت

:مر على بعد صلاة العشاء ..حسنا ؟أومأ برأسه لها أن نعم.. لم يغادر إلى

منزله ليفطر ..فتح مفكرة عمه التى لم تغادر جيبه بعد..

"ما الذى يرتقى ببشر من طين ..بشر عاجز..ضعيف ..مخلوق من طين

..ليصبح يوما أعظم مخلوقات الله عزوجل

أعظم من جبال الدنيا ..وسماواتها.. ذاك سر الإيمان ..الإدراك بأن

أرواحنا هى نفحة إلهية..

فيغدو الطين نورا. ."محاضرات د.عزام"،كتاب الخمينى الذى يخص مهدى ..لابد ان أنهى قراءته

"اليوم عيد " لسيرين.. ماكنت أعرف ماطيب العناق على الهوى ...حتى ترفق ساعدى فطواك!!!

هداك الله يامنعم!

أخذته القراءة حتى استوقفته كلمات قلائل متناثرة..

كتبت بقلم رصاص ..وبخط صغير كأن الكلمات لاتصدق أن صاحبها أفرج عنها وأخرجها من قلبه ..فرضيت بأى صورة

"أحبك لا تفسير عندى لصبوتى ..أفسر ماذا والهوى لايفسر"

عقلى ينازعنى فيك.. أما قلبى فأعلم أنه بإذن ربى طيب لا يقبل إلا طيبا..

أعلم أنك لا راحة لى إلا على كتفك.. ولكنها راحة دنيا فحسب.. وأنا أريدها راحة دنيا وآخرة..

تبقين المرأة الوحيدة التى أردتها دون كل نساء الدنيا ..لا قبلك ولا بعدكلكننى أريد الآخرة أكثر..

عندها أذن المغرب ..فأغلق المفكرة وعاد برأسه إلى الوراء ..والله ما أفطر أحد على مثل ما أفطرت..

على سر عصام الشرقاوى..

نزل من السيارة وأفطر من برادة الماء التى تجاور المسجد ..صلى المغرب وهو فى سجوده ..همس بكل الحزن الذى فى قلبه

يارب .. لم يرد راحة الدنيا بغير الاخرة ..يارب أرحه فى الآخرة..

عندما خرج من المسجد اشترى كيسا من الحلوى الحامضية التى يعشقها وزجاجة ماء ..وهو يمسك الحلوى تراءى له وجه أمه وهى تقول : ستبقى تحب هذه الحلوى حتى تاخذك قدماك ذات مرة إلى بيت الحلوى لتستعبدك الساحرة الشريرة..

ابتسم وهو يفتح باب السيارة وقال : سأستعبدها انا حينها!

أغلق على نفسه باب السيارة جيدا ..وأغلق النوافذ ..بحث فى درج شرائط السيارة ليجد شريطا لأبى عابد ..شغله

وغرق مع المفكرة من جديد..

"المجتمع الذى رضى أن يقاد الآلاف من شبابه فى ليلة واحدة إلى السجن الحربى وسكت..

ألا يستحق بكل تقدير وصف الجاهلية الذى اطلقه عليه سيد رحمه الله..

أتسائل فحسب. ."آه ياخى وآه ياخى ..بس آه لوكنا زى..

كنا لوكان الخمينى عمنا ..والمعارضة يد واحدة عندنا ..دسنا شاهنا وأمريكانه بنعلنا"

نحتاج رجلا بذات التأثير الروحى للخمينى.. نحتاجه حقا".. بلغت الثانية والعشرين ولم أعرف بعد كيف هى البندقية ؟؟

يارب ..لا تمتنى إلا وهى على صدرى"

وهنا تذكر صورة مقتل عمه فى معقله فى الجبال ..ذاك الذى اغتيل غدرا ..والرصاصة بين عينيه والبندقية على صدره ..ولم يكن ثمة أحد ليخفى مشاعره التى اعتادت على الحبس..

وفى ذلك الشارع الطويل ..الخالى من الاضاءة إلا قليلا.. وتحت الشجرة الخضراء الكبيرة..

بكى ..كمن لم يعرف بكاء فى حياته قط ..وبكى ..وبلت الدموع مقبض السيارة الذى استند عليه ..وهمس ..وأنا يارب ..وانا ...لا تمتنى إلا وهى على صدرى..يارب.. صلى العشاء كمن يصلى للمرة الأخيرة..

عادة الصلاة التى تعقب بكاء تكون أرق صلاة قد يصليها إنسان ..الدموع تصنع نوع إنكسار فى النفس ..إنكسار المحتاج ..تشعرك أنك مهما بلغت فأنت ضعيف..

تحتاج ان تتقوى بالله.. مهما بلغت ..فأنت ضعيف..

لما دخلت امه السيارة بعد الصلاة رأت كيس الحلوى قارب على النفاذ

..وزجاجة الماء ..ووجهه منقبض ..عينيه مبتلتان..

لم تعلق ..فقط ربتت على ذراعه وقالت ..تأخرت عليك ..لابأس

فى الصباح وضع المفكرة على مكتب سيرين ..وهم بالخروج..

لكنها دخلت حينها ..ابتسمت لما رأته وقالت : براء ..أتيت بالمفكرة صحيح

؟

أومأ بنعم ..وكان الدموع قاربت على التجمع فى عينيه .كان فى حالة ربانية لا

يشبهها شئ ..قالت عندها : شكرا ..شكرا يابنى

لم يدر ماحمله حينها على قول هذا:

اعذرينى سيدتى ..لكنك كنت الدنيا بالنسبة له ..أنت فحسب

اطرقت برأسها فى صمت ..ثم قالت : وكان هو لى الاثنين معا يا براء..

كان دنياى وآخرتى..

واشارت غلى يدها الخالية من خاتم زواج ..لا آخرة لى إلا معه..

هز رأسه بعدم إيمان:

وما الذى منعكما عن الدنيا ياسيدتى ؟؟

ابتسمت فى ألم وقالت : يا براء ..الدنيا لم تسعنا معا ..كنا نحب ..نعم

..لكن كل شئ كان يقول لا..

هو وأفكاره ..وأنا وأفكارى ..كانت الدنيا تتناطح حينها..

قاطعها : لو أردتما..

قبضت على يدها وقالت : لو أردنا يا براء ..لما كان لهذه العلاقة وجود من

الأساس ..كانت دقائق مسروقة من السياق الأصلى للحياة..

الدنيا لا تسير كما نريد ..أبدا لا تسير كما نريد

اعتذرت هى حينها منه بمحاضرة لديها..

أما هو ..فاستند إلى السور أمام باب المكتب ..فى أعماقه صوت يقول "ممكن

" ..كانت هذه العلاقة لتستمر..

لكن عمه لا يتنازل ..وجهه لا يتنازل..

وما كانت هى أيضا لتتنازل حينها..

رن هاتفه رنينا متقطعا ..كان أحمد..

هتف أحمد أول ما رآه : الله أكبر يابراء ..ساعة لتأتى..

قال فى هدوء : أعتقد أن اللقاء بعد عشر دقائق ..قال أحمد : ألم أقل لك

تعال مبكرا لتختار الكلمات التى سنكتبها..

رفع حاجبيه وقال : متى قلت هذا ؟

ربت أحمد على كتفه وقال : عندما هاتفتك بالأمس..

عندها أدرك أنه لم يكن فى الدنيا بالأمس ..كان غارقا مع عمه ..وذكرياته

..وحنينه..

قبل رأس أحمد لأول مرة ربما فى حياته وقال : آسف يا أحمد ..لم أكن بحالة

جيدة بالأمس ..ربت أحمد على كتفه : لاعليك

...

عندما عاد إلى منزله كان خاليا ..والدته عند جدته لوالده ..ووالده فى مكتبه الهندسى ..كانت الساعة تقارب السادسة مساء..

ألقى بكتبه على الأريكة ..وبنفسه على كرسيه المفضل..

وكأنه غفا قليلا ..واستيقظ على رن الجرس المتصل:

كانت عينيه مغمضتين وهو يحاول فتحهما عندما فتح الباب ...وكان يقول :ولم اخترعوا المفاتيح إذن ؟

انتبه للصوت ذى الرقة والحسم فى آن واحد :لكننى لا أملك واحدا..

أدار وجهه ليبتسم ثم قال بوجه جامد يميل إلى السهولة قليلا:

سلوان ؟ أمى ليست هنا

أشارت إلى الحقيبة الكبيرة بيدها وقالت : وماذا سأفعل بحقائبى هذه ..أعود إلى الإسكندرية إذن ؟

قال : لا ..تفضلى..

سأنزل لأخبرها أنك جئت ؟ تريدين شيئا أحضره معى؟؟ قالت : لا ..جزاكم الله خيرا..

وهو ينزل السلالم قالت : براء ..التفت ..قالت : أحضر معك حلوى بالبرتقال ..لقد نسيت أن آتى بها

سمعت حوقلته فأغلقت باب البيت..

كانت سلوان ..ابنة عمته ..كانت أمه من أقرب الناس إليها ..واعتاد أن تأتى بين الحين والآخر لها ..قبل خالها..

تشبهه ..شكلا وموضوعا ..إلا انها أكثر تساهلا منه ..الكل يتخيل أنها تحبه ..أو أنه يحبها ..والأمر ليس كذلك..

ليس كذلك أبدا..

سلوان ترى فيه نفسها ..وعندها أن الحب لا يأتى إلا مع المخالف ..لا الشبيه ..وهو كذلك ..تصغره بعامين ..تدرس الأدب الإنجليزى ..تستشهد دائما

بالشعر العربى على خلاف دراستها ..تعرف أنها فاتنة ..ومع التزامها هذا الذى يقارب براء ..إلا أنها لاتتورع عن استخدام فتنتها إذا أرادت..

كانت تكفى نظرة واحدة فقط من عينها ..نظرة كسيرة تتقن الإتيان بها ..لتنال ما تريد..

كان دأبها مع الجميع..

وما كان أحد يعرف أنها تتعمد هذا سواه ..الكل يظن أن هذه طبيعة فيها..

كان دائما يذيل كتابته إذا اهداها شيئا فى العيد أو غيره..

وبعد كل شئ ..وقبله ..اتقى الله فى نفسك..

عندما تركها فى البيت سارعت إلى مكتبته ..التى تحتل جدارا كاملا فى غرفته ..أدهشها أنها منظمة على غير المعتاد ..وأخيرا وجدت ما تريد..

"ماضون رغم الجراح " ..كتاب من مطبوعات الندوة العالمية للشباب الإسلامى..

تحفظ قصص تقريبا ..ومع هذا فهى تعيد قراءته كل مرة ..جلست على كرسى المكتب ..واستغرقت فى القراءة كالمعتاد .. لم تفق إلا على طرقته على الباب ..عدلت حجابها وقالت : تفضل..

قال : بالطبع اتفضل ..غرفتى إن نسيت هذا..

يا الله ..قلت لك خذى هذا الكتاب وأريحينى..

قالت وهى تقوم لتغادر الحجرة :لا متعة فى قراءته إلا هنا ..لقد اتت خالتى إذن..

قال : ستكملينه ام أعيده ؟

قالت : لا دعه ..سأعود له..

ضمتها خالتها بحنان ..كانت تراها بنتها الثانية بعد بثينة ..ابنتها الكبرى..

قالت فى ابتسامة : لقد ازعجك براء ..أعرف هذا..

قالت : لاوالله ياخالة ..لقد اكتسب أدبا غريبا هذه المرة .. لم يسب عندما أخبرته بأمر الحلوى..

..

بعد الشروق بقليل كان عائدا من المسجد ..كما هى عادته صبيحة الجمعة..

ترك والده فى المقرأة ..هذه الأيام يحاول الوصول إلى رأى أصوب فى قضية

الذكر الجماعى وعدمه..

وهو يفتح باب البيت تراءى إلى سمعه صوت أغنية ما ..كان التلفاز مفتوحا

وأحد الكليبات التى لطالما وصفت حينها بالتحلل على الشاشة..

وسلوان جالسة أمام التلفاز..

قال بهدوء من يكظم غيظا يوشك على الانفجار : سلوان ..أغلقى التلفاز

..أو غيرى القناة..

التفتت وقالت : غض بصرك..

ضحك ضحكة عالية وقال : لا افتن بهذه حتى أغض بصرى فى الأصل

..أغلقيه لو سمحت..

قالت : انا لاأرى هذه الحرمة الرهيبة فى الأمر ..هناك بعض المعاصى أشد وأسوأ..

اغلق التلفاز هو حينها وقال : نقاش على الصباح ..لا حاجة لى به ..هذا أولا ..ثانيا يا فاضلة ..يا أخت ..لا يليق بك هذا..

قالت : أيليق إذن أشعار نزار التى عندك..

قال : أنت غبية فعلا ..هذه نقرة وتلك أخرى ..ثم متى رأيتنى أقرأها ..مرة او مرتين فى العام ..بعض حلاوة الروح كما تسمين ما تفعلينه الآن..

قالت : غبية ! طيب..

صحيييييييييح ..ذكرتنى ما كنت أريد سؤالك عنه ..جلس على كرسيه مقابلها وقال : اين أمى أولا ؟

قالت : فى المطبخ .. لم ترد أن اساعدها..

ابتسم فى تهكم وقال : بالطبع لا تريد أن تحدث "مث " فى مطبخها..

عن ماذا تريدين السؤال ؟

قالت : عن خالى عصام ..علمت أنكم نفذتم وصيته التى اوصى بها أخيرا..

كيف هى ؟

علم أن الحديث فى الأمر سيجلب له الما لاحاجة له به ..فأشاح برأسه وقال :

غيرى السيرة..

قالت : براء ..لأجل خالى محمود ..أخبرنى عنها ..لا اعرف اسمها حتى!

قال : اسمها سيرين ..تدرسنى فى الجامعة..

فجأة اندفعت الذكرى إلى عقله ووعيه .."يارب لاتمتنى إلا وهى على صدرى"

فأخفض رأسه وهو يغالب نفسه:

سلوان ..رضى الله عنك وأنالك كل ماتريدين ..بالله لا تسأليني الآن..

علمت ان ثمة أمرا مرا فى صدره ..فسكتت ..ألقت له بجهاز التحكم وقالت :

اظن أن برنامجا لعائض القرنى يأتى الآن..

وقامت..

كان الوقت قد قارب الخامسة عصرا عندما كان مهدى يدخل الحرم الحسينى فى كربلاء ..طلابه فى الحوزة وزوار المسجد ..الكل يتسابق كى يقبل يده ..ويسحبها هو بسرعة ..تواصعه جزء من نفسه لا ينفك عنه..

قبل اعتاب الضريح كعادته ..وسلم على صاحبه..

وقف يدعو قليلا ثم جلس ..جلس أمام الضريح مباشرة وحوله الناس ..واستند برأسه إليه ..تنبه إلى صبى صغير شق جموع الناس ليجلس إلى جواره فى النهاية ..شد على يده وابتسم وقال : ما اسمك يابنى ؟؟

قال الصبى فى ابتسامة من لا يصدق ان هذا الرجل ..المرجع ..يحادثه بهذه البساطة:

عصام ..اسمى عصام..

قبل رأسه طوييييييلا ..ودعا له..

عندما جلس الناس يتجدثون إليه ..يسألونه ويجيبهم ..يستفتونه .. لم يكن يرى فى الوجوه إلا وجها واحد يخلع منظاره الطبى ويقول بابتسامة صادقة : تعرف يا مهدى..

نحن نختلف كثيرا ..وكثيرا جدا..

لكننى أحبك ..صدقا أحبك..

فى طريق عودته كان مرافقه هو الذى يقود به ..أسند رأسه إلى الزجاج وراح مع الكلمات

"كذب السيف حين قال وردد ..هاآنا اذبح ابن بنت محمد

عندما عاد إلي بيته في قرابة العاشرة دخل إلي مكتبته مباشرة ..أطلت عليه زينب من الباب وقالت :هكذا ..تدخل هكذا بلا سلام ..هز رأسه في وجوم وقال : تذكرين عصام ..عصام علي الدين ..عصام الشرقاوي ؟

جلست علي الأريكة أمامه : عصام المصري ..ما الذي ذكرك به ؟

أطرق برأسه وقال :اشتقت إليه ..اشتقت إليه فحسب..

قامت إلي مكتبه الخاص وقالت وهي تخرج علبة خشبية سوداء : لعل هوايتك القديمة تريحك..

قبلت رأسه وخرجت.. شغل جهاز الفيديو ووضع الشريط الوحيد الذي يجاور الصور القديمة..

كان عصام جالسا علي مكتب غرفته وبجواره محمود وعبدالمنعم ..ولأول مرة في حياته مع عصام منذ أن عرفه منذ أربع سنوات يسمعه ينشد بصوته ..كانت صورته مع صوته وهو ينشد تأخذان بالألباب..

كان يدق بأصابعه علي المكتب ..أخي سوف تبكي عليك العيون ..كان يتلاعب بلحنها قليلا ليكون أسرع..

عندما أنهاها ألح عليه منعم بالإعادة ..اكتفي عندها بهز رأسه في إغاظة معتادة ..وقال : هذا فقهيا من باب ملاطفة الإخوان يامنعم ..قاطعه مهدي الذي كان يصور وهو يعطي الكاميرا لمنعم ليكمل بدلا عنه : أسمعني ياظبية البان إذن ..وجدتها عندك في أوراق محاضراتك..

ضحك في صدق بالغ وقال :عرفت أنها لا تفوتك .. كان يحفظها كاملة فقالها بدون أن ينظر إلي أوراقه حتي..

قال محمود : لكن عينيها كذبته ..قال عصام عندها : لا ..تكذبان لتوقعه أكثر ..لا لتبعده..

بعض النساء يطيب لها أن تمنع صاحبها ما يريد إذا كان في المنع زيادة تعلق بها ..فهي تعلم أن الإنسان في الغالب أسير ما منع.. قال محمود : وأنت ماذا تقول ؟

قال عصام: نعم أنت فاتنة إنما ..أري عزة النفس لي أفتنا..

عندها قال مهدي : دعك منه يامحمود ..هذا كل فلسفته تذهب عند من علمتها..

أشاح عصام برأسه وقال :والله ما أظن أن أحدا سيدرك أمري معها"..

أغلق جهاز التلفاز وأخرج الشريط..

كان يدرك ما الذي عنته سيرين لعصام..

في عصر أحد الأيام الخريفية الباردة كان عصام أشعلها نارا مع أمن الجامعة الذي تدخل في مساجد الجامعة أكثر مما ينبغي ..كانت كل الجماعات الإسلامية قد فوضته بالحديث باسمها في ذاك اليوم..

بعد أن تم له ما أراد لم يقف مع إخوانه كما هي العادة..

رآه يجلس إلي جوار سيرين صامتا لا يتحدث ..وهي تبتسم في حب وهي تحادثه ابتسامة من يريد التخفيف عن أحد..

يومها أدرك ماهي لعصام.. أدرك أنها المرفأ له ..أنها شاطئه ..الذي تسكن عنده الأمواج العتية لحياته..

يومها رأي عصام في صلاة المغرب هادئا ساكنا نقيا ..فصار الإدراك لديه يقينا ..

استجمع أفكاره وأمسك سماعة الهاتف بيد ومفكرة قديمة نسبيا بيده الأخري ..

بعد دقائق مرت عليه كالدهر كان يدون رقم محمود الجديد.. ضغط الأرقام

بثبات بطئ وهو يهمس بحقك يازهراء..

فاجأه صوت الشابة الحاسم علي الجهة الأخري : وعليكم السلام..

قال بود : انت ابنة محمود ؟ لهجته العراقية الصرفة فاجأت سلوان لكنها قالت

بهدوء : لا ..أنا ابنة أخته..

قال : ابنة عبد المنعم إذن ..قالت باندهاش : نعم..

قال : ما اسمك ؟ قالت : سلوان..

قال باشتياق : أبلغي الوالد سلامي ..قولي له مهدي الموسوي ..أحادث

خالك أم أنه ليس هنا..

قالت : خالي عنده درس في المسجد الآن ..لكن ابنه براء هنا ..دقائق..

كان براء عندها يعكف علي كتاب فقهي يتدارسه في المسجد ..فاجأه دخول

سلوان : براء براء ..صاحب للوالد علي الهاتف..

رفع السماعة : السلام عليكم ..ابتسم مهدي عندها في عزاء ..كان صوته

نفس صوت عصام ..نفس النقاء ونفس الحدة

رد مهدي السلام وقال : كيف حالك يابني ؟ رد براء في توجس : الحمد لله

..قال مهدي : لا أطيل عليك يا بني ..أخبر الوالد أنني سآتي الأسبوع القادم

إلي مصر ..وبودي لو اجتمعت به هو ومنعم وضياء..

قال براء : معذرة ياسيدي ..من لأخبره ؟

قال :مهدي ..مهدي الموسوي..

قال براء : ال ...قاطعه مهدي : نعم أنا ..صاحبهم الكربلائي..

كان براء سيقول : الكلب الخائن ..لكن أنقذته مقاطعة مهدي..

عندما أنهي مهدي الحديث قالت زينب : وجدته ؟

قال :من ؟

قالت : عصام ..صديقك ..ألم تكن تهاتفه ؟

قال في ابتسامة أثقلها حزن السنين : ألم أخبرك بقية الحكاية ..قالت : ألها بقية ؟

قال : تعرفين من نقاتل هنا ..الجهاديين العرب ..تلاميذ أبو البراء المصري ..تلاميذ كتبه وتسجيلاته..

اتسعت عيناها في ذهول : نعم ؟

قال : ذاك عصام ..كان رأسا في كل أمر يدخله ..ماكان له أن يكون ذيلا أبدا..

قالت : أراك مفتون به..

قال : لا ..ليست فتنة ..عصام يوم عرفته أدركت ما الذي عناه القائل :كذب الموت فالحسين مخلد..

عصام كان ثائرا ..حديثه ثورة ..وكتاباته ثورة ..كان يشبه حسن الشيرازي ..به تلك الروح التي لا تنطفئ ..لا تنطفئ إلا بالموت..

كان محمود يدخل بيته عندها ..أول ما رأي سلوان قال : تعرفين ما أحضرت لك ..كتاب أخبار النساء ذاك ..الذي منعك براء من أخذه من مكتبته..

نطق براء الذي كان واضحا عليه تركيزة الشديد فيما يقرأ وهو جالس علي كرسيه بمنتصف المجلس : افعلها يا أبي ..هي تفعل ما تفعل بالفطرة ..امنحها دليلا إرشاديا ..دليل مستخدم..

قال أبوه : ما يضيرك أنت ؟

قال براء : يضيرني شفقتي علي الأشقاء الثلاثة بالأسفل ..أراهم يرابطون في البيت كلما أتت ..اتقي الله فيهم إن لم تتقيه في نفسك يا سلوان..

احمر وجهها وقالت : سبحان الله ..والله لا أسلم كلما رأيتهم إلا كإخوتي..

قال براء : دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن أخاها ولم أطعم لها بلبان..

قال والده : أستغفر الله ..أظنك أثقلت عليها وافتريت..

أحد نظرته تجاه سلوان وما كان "يراها " وقال : افتريت عليك ؟

قامت إلي غرفة والدته وقالت : لا شأن لي بك ..أظن أن خالتي أنهت صلاتها

..

قال براء : أنستني ما كنت سأقوله .. لم تقل لي أبدا أنك تعرف مهدي

الموسوي الخائن.. التفت إليه والده في حدة : مهدي؟

قال براء : هاتفك وأنت في المسجد ..وقال أنه يتمني رؤيتك أنت والعم

عبدالمنعم والعم ضياء ..سيأتي إلي مصر قريبا ..أعطيته رقم هاتفك المحمول

..في النهاية لم تخبرني أبدا أنك تعرفه..

التفت إليه والده : ومالحاجة ؟

قال براء : اكتشفت أنني لا أعرف عنكم أشياء كثيرة بدعوي عدم الحاجة

..مثلا عمي عصام ود.سيرين ..هذه لوحدها قاصمة..

تمتم والده : أستغفر الله ..يابراء ..بعض الأوجاع يحسن تركها نائمة فلا توقظها

..

وعندما رأي والده هكذا سكت ..إلي حين ..

في الصباح كان يفطر بسرعة لينزل إلي جامعته ..قال لسلوان ؟ أمالك جامعة تذهبين إليها ؟

قالت : لا ..لن أذهب للجامعة هذا الأسبوع ..استأذنت من أبي ..سأقضيه لديكم هنا..

وضع كوب الشاي الذي هم بشربه أمامها وقال : تمتعي بآخر أيام ضيافتك هنا إذن ..بعد الثالث لا ضيافة..

قال والده : لا بأس عليك ياسلواني ..إنه يغار منك فحسب..

ضحك وأخذ كتبه وقال : الله المستعان..

بعد محاضرة سيرين خرج بعدها مباشرة ..أعطاها مفكرة عمه التي احتفظ بها سابقا..

قال وهو يطرق برأسه : لي إليك طلب ..إن أذنت..

قالت : كل ما تريد يابني..

قال : أنت وعمي ..كيف كان لكما ما كان..

قالت :مشغول أنت الآن ؟

قال : بالطبع لا..

لم تجلس علي كرسي المكتب ..بل جلست علي الكرسي المقابل له ..فتحت نفس المصحف الذي أخرجت منه المفكرة في ذاك اليوم القريب.. كانت صورة قديمة..

كانت تصور أحد مدرجات الكلية ..في أيام الدراسة ..والواقع أن الناظر للصورة سيعرف مباشرة من أراد المصور أن يظهر فيها تحديدا ..كانا اجتماع النقائض..

كانت سيرين ترتدي قميصا أخضر ..بدا فاتنا علي وجهها ..شعرها كان أطول قليلا..

وكانت تجلس إلي جوار عصام ..كان يشبه براء ..بغير المنظار الطبي ولحيته أطول قليلا ..لم يكن ينظر إليها مباشرة ..كانت عينيه متعلقة بشئ ينجزه في يده ..ويبتسم ..أما هي فكانت تتطلع إليه ..كلها يتطلع إليه..

قالت : لم يعلم أبدا بأمر هذه الصورة ..التقطها مهدي لنا قبيل اختباراتنا النهائية في السنة الأخيرة ..تعرف مهدي ؟

قال : مهدي الموسوي ؟

قالت : نعم ..كان أقرب لأبيك وعبدالمنعم من عصام ..ومع هذا فقد كان بإمكانك أن تزيح الشمس من مكانها إذا اجتمعا ..كانا يضيئان الدنيا ..خاصة إذا تحدثا عن الخميني والثورة أو عن الحسين..

بالطبع عصام كان بعيدا عن الإمامية فكريا حينها وابتعد أكثر بعد ذلك ..لكنهما كانا يتشابهان ..جدا..

أول مرة رأيت فيها عصام كان خارجا من مسجد الكلية ..كنت في السنة الثانية..

قاطعها : أول مرة ؟!

قالت :كنت محولة من جامعة أخري..

رأيته خارجا من المسجد يسوي أكمام قميصه الأبيض ..ويتطلع إلي ساعته في سرعة ..أما أنا فكنت أطوي الحجاب الذي أحضره معي لأصلي وأضعه في الحقيبة..

الغريب في الأمر أنني كنت أرتدي مثله تماما ..قميص أبيض وبنطال أسود ..نظر إلي في ذات الوقت الذي نظرت فيه إليه ..ثم أخفض رأسه وابتعد..

تعرف يا براء ..ثمة لحظة تعرف أن حياتك قبل هذا الشخص لن تكون حياتك بعده .. ذاك حديث الرومانتيكيين ..ولم أكن منهم أبدا ..ولا عصام أيضا ..لكنني شعرت يومها بشئ عجيب ..شعرت أنني أعرفه ..تعرف شعور الوطن يا براء ..شعرت كأن نافذة فتحت أمامي لأري وطني ..رأيته من بعيد فحسب ..

تجاهلت ماحدث بالطبع ..وسرت إلي مدرجي ..وسمعت صوته من خلفي ..هامسا صارما ..لا مجاهر أو مخافت ..لا ينادي ..بل يتحدث إلي أحد

بجواره : سيرين ..التفت إليه : وجدته يناولني كتابا أسقطه مني في تلك اللحظة الفارقة ..قال بنفس صوته ذاك : كتابك..

لا أدري هل شكرته أم لا ..تمتمت ببضع حروف لا معني لها ..وما انتظر هو ليسمع جوابا ..تركني ومضي..

في الأيام التالية لما حدث ..كنت أراه بين حين واخر ..رأيته مجتهدا ..رأيته محاورا رائعا ..في أحد الصباحات دخلت متأخرة قليلا ..وكان بجواره مكان شاغر ..عرفت فيما بعد أنه كان مكان والدك ..لكن عصام أجلسني بجواره ..ورأيته عن قرب ..كان كتابه يحمل توقيعا له بحبر أسود ..وسطرنا صحائف من ضياء فما نسي الزمان وما نسينا..

كانت لحيته سوداء كسواد الكعبة ..وعيناه في زرقة السماء ..يشبهك جدا ..ألا يخبرونك بهذا..

فى ذاك اليوم كان عصام قريبا ..قريبا جدا ..كان الأستاذ الذى يدرسنا شرحه ..وأومأت برأسها فى هدوء ..كان سئ الشرح.. أخذته الحماسة وهو يصف

روعة شرحه والأجيال التى تربت على يديه ..عندها قال عصام فى خفوت :

أستغفر الله ..أكمل أمجادك أكملها.. كنا نجلس أمام الدكتور مباشرة..

فتحت دفتر محاضراتى وكتبت : أسيظل هكذا طويلا ؟

ابتسم وخط بالقلم : لا ..نصف ساعة فحسب ..زكاة شرحه والله المستعان

..

عندها سألته ما كنت اريد أن أسأله عليه مذ عرفته:

أأعرفك من قبل ؟؟أطرق برأسه وهزها قليلا ثم كتب : كما أعرفك..

ستتعجب يابراء إن أخبرتك أنه سكن قلبى منذ اك اليوم ..ببساطة شديدة

..جلست غلى جواره بعدها كل الأيام تقريبا ..كان لا يتحدث إلا قليلا

..اقصد يتحدث معى..

كان يأتى كل صباح فيبتسم ابتسامته الودودة القريبة التى لا أراه يبتسمها لحد

أبدا : السلام عليكم .كيف حالك ؟

وكنت أخبره عن كل شئ ..عن الزحام المرورى ..عن القطة التى خدشت خشب النافذة ..فكان يبتسم ويقول : تعب كلها الحياة.. لم نتحدث أبدا عما جمعنا ..ولم اشعر أبدا أن ثمة غرابة تغلف تلك العلاقة ..إلا بعد شهرين تقريبا.

رأيته واجما ذاك الصباح ..واجما صامتا.. ولم نتحدث ..لم أجلس إلى جواره كما اعتدت ..لكننى لم أر أحدا جلس أيضا..

فى صلاة الظهر التى كنت أؤديها فى الجامعة لفراغ الوقت حينها سمعت زميلة لنا تقول : ايرضيك هذا يا منال ؟ نظن أنه لا يخطب أختا من الأخوات إلا لأنه يرى أن هناك من هى أفضل منها دينا وخلقا ثم تأتى هذه لتأخذه منا!

ليرتبط بأى واحدة ..لكن هذه السافرة المتحللة.. ظننت أن الأمر سينقلب إلى محاضرة عن الشرور الذى أحدثته فى الدنيا إلا أن صوت منال أسكتنى : اسمعى يا فاطمة ..لا تظنى أن مثله يفعل حراما ..أو أنه يقبل خبثا ..هناك شئ ما

طاهر بها ..لاتحمله أى واحدة منكن ..ذلك الشئ الطاهر هو الذى جمعهما ..فهمت..

تطلع إلى الصورة وقال : هذه أمى..

ابتسمت وقالت : نعم ..أمك ..لذلك احبها جدا ..لأجل ذاك الموقف فحسب..

كانت صادقة ونقية.. عندها قاطعها : أأسألك سؤالا سيدتى : قالت : تفضل..

لماذا لم تكونى محجبة ؟

قالت : التربية يابراء ..أبدا لم اشعر أنه شئ مهم ..أو شئ ينبغى لى الالتزام به ..حتى عائلتى لم تكن بها واحدة محجبة ..أنا إلى الآن لاأرى أنه ينقصنى شئ ..أنا كما أنا ..كما أراد لى الله..

قال : وعمى....

قالت : لم يطلبه منى أبدا ..أبدا يا براء ..وكأنه يرانى ولا يرانى..

نعم لم اكن أتحاورمع أى من زملاء دفعتنا خارج الكلام المعروف بسببه

..ومازلت أحفظ له رغبته..

لكنه كان يرى الحجاب دين ..وأنه لايقبل ان يكون مقدما على الله سبحانه

وتعالى فى طاعته ..كان رائعا ..رائعا حقا..

قاطعه رنين الهاتف : يعلمه بمحاضرته الآن..

اعتذر لها ..وهو يخرج التفت إليها وعاد : سيدتى ..إن أذنت لى ..الجامعة

لاتناسب ما أريد ..أأستطيع زيارتك ؟

ابتسمت وقالت : تعال الخميس ..بعد العصر..

:الخميس بعد العصر عندى درس فقه أيمكن فى موعد آخر ؟

فى الصباح إذن ..أنا أستيقظ باكرا ..يوم الجمعة..

ابتسم فى عزم وقال : يوم الجمعة بإذن الله..

فى العصر كان لتوه عائد من الجامعة : ألقى بكتبه كالمعتاد على الأريكة أسند

رأسه غلى ظهر المقعد..

قالت أمه : براء ..الشيخ عبد الجليل هاتفك منذ قليل ..يريدك أن تذهب له الآن ..عنده موعد مع الطبيب بعد المغرب..

هز رأسه كانه يفيقها : الله المستعان.. أخذ مصحفه وقام..

عند مدخل البيت قابل سلوان ..كانت تحمل قرابة الخمس أكياس بيدها ..للتو قد عادت من السوق ..من جولة طويلة فى السوق.. قالت أول ما رأته براء ..احمل معى هذه الأكياس حتى أصعد..:

ابتسم وقال : كيف حملتها فى السوق إذن ..سأتأخر على شيخى ..سلام

ابتعد خطوات قلائل ..ورأى عمرو ..جارهم يعينها.. عاد ..ابتسم فى كظم غيظ لعمرو وقال : لاتتعب نفسك يا عمرو ..سأعينها أنا.. لم يخاطبها حتى وضع الأكياس على باب البيت وقال : لو كان غيره لقلت يعينك ..أما هذا فلا ..وانت تعرفين لم ؟

قالت : هو الذى عرض أن يعيننى.. دفعها إلى الداخل وقال فى نفاذ صبر : سلوان ..لا تدعى براءة لا تناسبك ..حسنا..

ذهب إلى شيخه ..كان يذهب إلى الشيخ ثلاث مرات فى الأسبوع ..يراجع فيها عشر أجزاء من القرآن..

أخطأ مرتين فقال الشيخ بعد أن أنهى حفظه:

أخطأت فى حرف ووقف ..مابك ؟

قال : لم اراجع جيدا ..صحيح ؟

قال الشيخ : لا ..لكن يبدوا أن ثمة شئ فعلته..هز رأسه وقال : نعم..

ربت الشيخ على كتفه وقال : أنا أراهن عليك دائما ما ابتعدت عن المعصية ..أتقترب منها ؟؟

لا ..الموقف مجردا قد أعده معصية ..لكن النية ليست كذلك ..إننى أراه شيئا عاديا جدا..

قال الشيخ : إن مثقال الذرة يابراء عند حامل القرآن وطالب العلم كالجبل ..لا تتهاون به أبدا ..ولاتجعل النية الطيبة ميزانا تزن به النص ..إن قلب العالم

ليس كسائر القلوب ..قلبه كفاكهة رطبة طيبة ..الخدش يسئ إليها ..أقل الخدش يفسدها..

سكت قليلا ثم قال : افعل إن شاء الله..

فى طريق العودة رأى طفلا صغيرا يبيع مناديل فى إشارة المرور ..اشتراها منه بضعف السعر ونوى نية الصدقة عنه وعن سلوان ..عندها تذكر الحرف الذى نسيه وهو عند الشيخ ..ابتسم وقال : صدقت ياشيخى ..صدقت..

بعد صلاة العشاء كان درس الأصول الأسبوعى الذى يداوم عليه ..كان يرى فى العلم الشرعى بابا ارحب له ولأفكاره بدلا من ان يكون مقيدا بطريقة تفكير معينة لمشايخ معينين ..وكان مشايخه مختلفين ..كل صاحب مدرسة ينتمى إليها ..كان شيخه عبد الرحمن الذى يدرس عنده الأصول من اصحاب المدرسة السلفية المستقيمة

تلك التى تعود أصولها لمنتصف البعينيات ..قابله أنس على باب المسجد قبل الصلاة بقليل ..ابتسم ابتسامة صادقة وهو يقول : زمان عنك يا براء ..أسبوع كامل يارجل..

هز رأسه فى عدم رضا وقال : تلك الدراسة يا أنس ..الأفعى!

قال أنس : يحاصرون الفلوجة الآن ..بدأ الكلاب حصارها اليوم..

تنهد وقال : الله المستعان ...الله المستعان..

قبض أنس على يده وقال : أعرف بعض الإخوة يوصلون المساعدات إليها ..أدخل يده فى جيبه وخرج بكل مافيه ..وقال : قبل أن توصل المال انتظرنى إلى غد ..أعتقد أن الوالد سيرغب بالأمر أيضا..

قبل انس رأسه : ولا تسأل حتى كيف ؟

قال : لا ..ليس الأمر هكذا ..أنا اسأل ..لكن ليس معك ..أنت وحدك الذى أثق به دونا عن كل الدنيا فى هذه المور تحديدا.. تطلع إلى الحائط

..صورة الشيخ أحمد ياسين المعلقة امام المسجد ..كان قد استشهد منذ قرابة الأسبوعين ..رأى أنس مايتطلع إليه فقال : ولا تحسبن..

أطرق برأسه وقال : لم أحسب..

كان الدرس فى باب القياس ..همهم بكلمات بينه وبين نفسه فى منتصف شرح الشيخ للمتن ..متن الورقات..

قال الشيخ : الشيخ براء له رأى ..أسمعنا إياه ..ابتسم وقال : لا أدرى لم جاءت الكلمة فى ذهنى ..أن إبليس هو أول من قاس ..فمن يقيس كإبليس ؟؟

ضحك الشيخ وقال : الحكمة ضالة المؤمن يابنى..

بعد الدرس بقى مع انس فى ساحة المسجد ..تمشيا طويلا ..علاقته بأنس لاتتعدى الستة أشهر ..كان يعرفه من قبل ..زميله فى الكلية ..يكبره بعام دراسى واحد ..لكن علاقتهما توثقت بعد لقائهما فى درس الشيخ..

كان أنس من تلك الأسر الثابته الصابرة ..والده فى سجنه مذ كان فى السنة الأولى من عمره ..صبرت والدته أعواما ..لكنها تزوجت فى النهاية ...فبعض النفوس لا تتحمل الغربة ..يقيم مع عمه الذى رباه وكفله ..وكل ما يريده فى الدنيا هو أجر شقيقه المبتلى.. لم يرزق عمه بأولاد ..لكن أنس كان له الولد الصالح ..ولزوجته أيضا..

اختار مستقبلا "مشرفا " كما يقول الشيخ "عمر عبد الرحمن " عن أصحاب هذا الطريق ..كما اختاره والده من قبل ..وعمه ..ووالده الشهيد الذى دفن فى رمال "الحربى " من قبل..

لطالما علق أنس : يظنون اننى أصبحت هكذا لن عائلتى هكذا ..لا والله..

تلك بركة لا يعرفها غلا من سار على الدرب ..والدرب شاق ..وطويل ..وممتع أيضا..

فى منتصف مشيهما قال انس : عثرت لك على محاضرة رااااااائعة ألقيت فى باكستان منذ سنين .."الثبات " ..لأبى البراء المصرى ..عصام الشرقاوى..

أتعرفه ؟ابتسم وقال : ارأيته من قبل يا أنس ؟

قال : لا..لا أحتاج لأن أراه شكلا وقد رأيته موضوعا ..مع أنى اعتقد أن بعض كتبه قد أسئ تفسيرها ..بعض مصطلحاته واختياراته.. أعلم أنه رجل عظيم ..عظيم كما السماء..

قال براء : أعلم أنك تكتم السر ..ولا تفضحك جوارحك.. ذاك عمى..

تطلع إليه انس وقال : عمك ؟؟ بالله ؟

نعم ..ابن عم والدى ..وابن خالة امى أيضا ..رحمه الله رحمة واسعة..

سأله أنس : أتذكره ؟

هز رأسه وقال :لا ..لاأذكره ..لم أره أبدا ..لامن قريب ولا من بعيد ..لقد خرج بعد الجامعة مباشرة ..لالا ..بعدها بعامين بالضبط ..قضى عام منهما فى المعتقل ..كانت التنظيمات الجهادية تفور فورانا حينها..

قال أنس : ولم ترق له حينها ؟

هز رأسه وقال : لا..أبدا لم ترق له..

كان يريد جهادا حقيقيا ..لادماء تشتبه على صاحبها وتحاجه أمام الله

..وكانت الحرب الأفغانية فى سنواتها الأخيرة ..استقر هناك ..فى باكستان على الحدود ..أكمل دراسته الشرعية هناك أيضا ..ولم يعد غلى كابول إلا بعد الحرب الأخيرة ..وهناك قتل..

قال أنس : كل الدنيا تعرف هذا ..ما الذى لا أعرفه ؟ أتزوج ؟

ابتسم وقال : لا..لا اعتقد انه تزوج ..وإن كان ..ثم صمت..

قال أنس : قلها يارجل ..مثله لا يتعلق بالدنيا إلا بحبل امرأة ..نظر إليه طويلا وقال : اتظن هذا ؟

جلس انس على كرسى يجاور شجرة فى ذلك الشارع شبه المظلم وقال : اسمع النظرية الظلامية المتعلقة بهذا الأمر:

ابتسم براء وهو يجلس إلى جواره :أسمعنى يامولانا ..يبدوا أن الأصول تلاعبت بعقلك..

قطب انس حاجبيه وقال: لالا ..تلك نظرية قديمة ..النظرية تقول أنه مامن رجل يبيع الدنيا إلا وله فيها امرأة ..ولولا هذه المرأة لما كان باعها..

هز براء رأسه : كيف ؟

من يبيع الدنيا يحتاج إلى أن يملكها ..يكون له تعلق بها ..وهذا التعلق هو الذى يجعل التخلى عنها بيعا..

قال : نعم ..وبما ان الله سبحانه وتعالى رغب المؤمنين بالحور العين ..وكانت النساء هن ماحبب إلى رسول الله منها ..كن فى الغالب هن تعلق اهل الشهادة بالدنيا..

من يذق حب الرب تبارك وتعالى ويعرف لذة ان تترك الدنيا لجله لابد ان يكون ذاق لذة حب وتعلق أبسط..

عينة بيع كما يقال ..أولئك أصحاب النفوس العلية..

ضحك براء عاليا : والله لا يخرج هذا الحديث إلا من جعبة عاشق..

قال انس : لامرأة تستحق ..تستحق ان تكون مقصدى من الدنيا ..وتعلقى بها..

تطلع إليه براء : وكيف تعرف انها تستحق ؟

قال انس : السحر من سود العيون لقيته ..يوم نظرت فى عينها عرفت اننى وصلت ..حيث المرفأ والساحل والسكن والأنس

وعرفت أنها طاهرة كماء المزن ..نقية ..وتستحق..

روت عيناه وشفتاه كل مايقال : عن آمنة ..من كتب ان يلتقيها فى وادى النطرون..

فى زيارة ابيها ..لا تظهر منها إلا عينين ..كل إيمان وصدق الدنيا فيهما ..لكنه يعرفها مذ كانت فى التاسعة ..كانت صغيرة ..وكان صغيرا.. كبرت وكبر..

لكن القلوب لها لقاء لا يعترف بالسنوات ..تأتى هى ووالدتها لزيارة والدها ..وتلوذ به هو ..به وحده ..إذا ضايقها أحد الحرس أو الزوار ..كانت عينيها على طهرهما كالنور يجتذب الفراش ..ولها هيئة حسن لا يخفيها حجاب..

كانت تكتفى بأن تقول : أنس ..انظر إلى هذا ..ليحد النظر إلى من ضايقها أو يخرسه بكلمة واحدة او كلمتين لاتزيد..

كان الحب بينهما لا يعرف لفظ شفتين ..لكنه يعرف حديث ارواح ..ولقد كفاهما..

كان عهدا غير مكتوب ..لكنه عهد المؤمنين..

قال براء معلقا : انا أرى انه مامن امرأة تستحق ..أقصد فى نظرى انا!

رد أنس : والله ليذل كبريائك هذا ذلة تتمنى عندها لو لم تخلق من قبل..

ربت براء على خده وقال : سنرى ..يا "عهد المؤمنين"

مر الأسبوع سريعا ..على غير العادة ..يوم الخميس كان للتو قد عاد من درس الفقه بعد المغرب..

قالت سلوان عندما راته : عدت اخيرا من جلسة العلم..

رد بغيظ : ألن تعودى إلى منزلك ؟ ألم تشتاقك الإسكندرية ؟ الا تشتاقين إلى ابيك وأمك وإخوتك..

قالت : كنت سأغادر ..لكن ..منذ دقائق هاتف العم مهدى خالى ..سيأتى إلى مصر غدا ..وسيأتى والدى للقائه ..وابتسمت ابتسامة المنتصر..

قال : مهدى ..الكلب الإيرانى..

قالت : من قال هذا ؟؟ الرجل صاحب ايدولوجية وينفذها ..أيجعله هذا كلبا فى نظرك ؟

قال : يجعله كلبا خيانته لوحدة بلاده ..أن يرضى ان يكون يدا للإيرانيين فيها ..ولا فارق عندى عن الامريكان ..اعوذ بالله كأنه المتصرف الأوحد لإيران فى بلاده..

قالت : لاتنس أنه يرتبط برباط العقيدة ..ثم تعال هنا ..انت تناقش كون الرجل يأتى منفذا لمشروع غيرانى هو فى النهاية إسلامى ..بينما أنت تكرس العلمانية بتصرفاتك ؟

وضع كوب الماء الذى يشربه من يده وقال : نعمممممم؟

قالت : شيخك هذا الذى كنت عنده ..كم مرة أغلق له المسجد من امن الدولة ؟كم مرة قبض على طلابه ولم يفتح فما؟

ثم يأتى فى النهاية ليقول المعاملات الإسلامية والدولة الإسلامية ..أليست هذه عين العلمنة ..الدين فى المسجد ولا شأن لنا بما يدور خارجه..

قال : إن دل هذا على شئ فإنه يدل على أن دماغك مازالت تحمل النسخة غير المحدثة من "ويندوز إخوان " ..أتريدين للشيخ الذى جاوز السبعين أن يخرج أمام المسجد ليجعجع بشعارات لا طائل منها ولا فائدة ..سوى أنه ينفى عن نفسه حصر الدين فى المسجد،ثم هناك شئ آخر ..الدولة الإسلامية التى تتحدثين عنها ..عندما تقوم ..إن قامت على أيدى اقرانك من أصحاب

القرص الصلب ذى النسخة غير المحدثة ..من ستجد لينظم لها تلك الشرائع سوى ذلك الشيخ السبعينى.. الدرس الذى يحارب وترينه تكريسا للعلمانية هو حلم نصنعه فى أذهاننا ..حلم نتخيل به الدنيا كيف تكون..

قالت : ربما تصدق فى قضية الحلم هذه..

قال : بل أنا صادق فيها ..ثم عامة ..أنت آخر من يتحدث عن العلمانية ..وتعرفين لماذا ؟

قالت : "واما بنعمة ربك فحدث"

قال : أوف ..ذاك إبليس ترك لك التصرف فى نظرياته ومنحك حقوق التنقيح والزيادة..

كانت تجاوز الثانية عشر فى ذلك المنزل فى المنطقة الأهدأ من بيروت ..كانت غادة فى المطبخ تعد قدحا من القهوة ..تركت كتابها الذى تقرأ فيه على الطاولة ..

أحست بحركة خفيفة جدا ..خفيفة لا تلاحظ ..لكنها أحست بها ..خرجت من المطبخ لتجد جواد أمامها ..فزعت للحظة ثم قالت : سامحك الله متى عدت ؟

قال وهو يضمها إليه : الآن..

جلس على الأريكة وهو يقول : لم تسألى كالمعتاد أين كنت ؟

قالت : تعبت ياجواد ..تعبت من القلق عليك ..بت اسلى نفسى الآن أنك ربما فى المسجد وستعود ..ذهبت لتصلى وستعود..

تنهد وقال : لاعليك ..هل هم نائمين ؟

تطلعت إلى حجرة كوثر وسمية ..ومحسن وهادى ..ثم قالت : نعم ناموا ..هل احضر لك قهوة ؟؟

قال : بالله عليك ..وزيدى سكرها لو شئت..

قام إلى حجرة البنات ..قبل وجنتى كل واحدة ..وغطاهما جيدا..

جلس أمام فراش محسن ..لقد أتم الرابعة عشر منذ ايام فحسب ..ولم يكن حاضرا كالمعتاد ..قبل رأسه ..وكذا فعل مع هادى.. لقد كبر هادى ..لقد خط شاربه .. لم ير عائلته منذ شهرين واكثر ..تطلع إلى جدران الغرفة ..كانت صورة جديدة لقادة المقاومة فى لبنان تحتلها..

اما سرير هادى فقد علته لوحة سوداء كتب عليها ..لبيك ياحسين ..ابتسم ابتسامة صادقة ..وأغلق باب الحجرة ..قالت غادة وهى تضع القهوة : لم تقل أنك ستأتى عندما هاتفتنى فى تلك المرة اليتيمة منذ شهر..

وضع قدح القهوة فى مكانه ولم يمسسه ..قام وقبل رأسها ..ويديها ..ثم قال : آسف ..غادة ..تعرفين متاعب الطريق جيدا ..ارتجفت يديها وهى تمسح جبينه وتقول :أعرف ياجواد ..أعرف..

جلست إليه تحكى كل ماحدث ..عن كوثر ابنة العاشرة التى قررت أن ترتدى العباءة الزينبية ..وسمية وتعلقها بالمدرسة الجديدة..

عن محسن وتدريباته العسكرية ..وعن هادى وميوله الشرعية ..عن الجمعية الخيرية التى تترأسها ..أسندت رأسها إلى كتفه وقالت : لكن عينيك بهما شئ يا جواد ..كأنه حزن فوق حزنها..

تنهد وقال : أنا الذى جلبته لنفسى ..لقد ذهبت لزيارة قبر عصام ..عصام الشرقاوى..

قالت : عصام ؟ ..نعم عرفته..

:على الرغم من ان علاقتى بمن هو فى مكانه الآن ليست على مايرام إلا أننى طلبت منه ان اذهب لقرأ له الفاتحة ..اه ياغادة ..آه..وأنا على قبره بكيت ..لم ابك لاستشهاد أخى ..وبكيت لأجله..

عرفت اننى أقف على نهاية حياتى ..شاهد قبر ..الله أعلم أين سيكون ..ربما فى بيروت او كابل ..أو تل أبيب حتى ..شاهد قبر يقول ذاك مستقر فلان ..تعرفين ..مرة اردنا أخذ وقت مستقطع ..مع أننا كنا نشرى الوقت شراء

..دعانى إلى مطعم باكستانى فى بيشاور ..هو أصلا عصام يحب باكستان بطريقة مختلفة ..ليست هذه النقطة..

يومها وفجأة ..تطلع إلى الشارع المزدحم ..والأضواء الكثيرة ..والمارة فى كل مكان..

ثم تطلع إلى وقال : ياذاهبون إلى الشهادة لاوداع ..وقبض على يدى وقال :جواد ..كيف ترانى ؟ أترانى من الذاهبين إليها ؟

أترانى أنالها ؟وبكى ..سألته مابك ؟ قال أخشى ان أسير كل هذه المسافة ولا أصل..

وأنا على قبره عرفت أنه وصل ..دعك من كل هذه الجعجعة الإعلامية ..بما فيها إعلامنا عن الإرهابى أبو البراء ..ما كان عصام هكذا أبدا ..تعرفين ..كان يشيح برأسه إذا رأى غنما تذبح ..تخيلى..

ولا اعتقد أنه ضحى اضحية فى حياته بنفسه.. ومع هذا فقد قاتل ..وجرح ..وبذل دمه فى سبيل العقيدة ..ربما هو متشدد ..نعم ..لكنه امام المصلحة لايتردد ..ومامنعه ابدا ختلاف الفكر أن يحب من يختلف معه..

تعرفين جعفر ..مرافقى الذى استشهد بدلا منى فى إسلام اباد فى ذلك التفجير ..

كان جعفر يعشق عصام ..اصطحبته معى مرتين فحسب ..فى المرة الأولى خرج وهو يهز رأسه فى تعجب ويقول : سيد جواد ..أهذا أبو البراء الذى يجلده الإعلام جلدا ؟مع ان جعفر لا يفصح ابدا عن مشاعره..

ونحن نغادر فى المرة الثانية ..ضمه عصام إليه على غير عادة ..ضمه طوييييلا ..وقال : لو كان لى ابن لكان فى مثل عمرك الان ..أو اصغر قليلا.. تعرفين ...الرجال الذين يعيشون على حافة الحياة ..خاصة الإسلاميين ..دعك من المذاهب ولو أنها مهمة ..إلا ان ثمة رابط يربطهم جميعا ..ثمة بريق فى العينين ..واحد..

ربتت على يديه وقالت : رحمه الله ..عندها بكى!

فى الصباح كان يجلس مع أولاده على الإفطار ..قال هادى : أبى ..ألن تأتى معى محاضرة السيد مهدى الموسوى ..هى محاضرة واحدة سيلقيها فى التاسعة ثم سيذهب إلى القاهرة مباشرة..

قال محسن : سيغادر؟

قال هادى: أنسيت أننى كنت له لصيقا طيلة هذا الأسبوع ؟تخيل أنه أخبرنى أنه تخرج من كلية الهندسة فى القاهرة قبل أن يعود غلى الدراسة الحوزوية فى كربلاء ثم قم ..شخص راااائع..

ابتسم والده وقال : طالما اعجبك يا هادى سآتى معك المحاضرة ..لا يعجبك احد كل يوم..

عندها اندفعت إلى ذهنه فكرة مفاجئة وسأل هادى : كم عمر السبيد ؟

السيد مهدى ؟

قال هادى: فى منتصف الأربعينيات ..يزيد سنة او ينقص عن الخامسة والأربعين..

أدركت غادة ما يفكر به فقالت : أرأيت أقدار الله..

"على مر التاريخ أثبت الإمام الحسين عليه السلام أن ثورته التى زرعها فى تربة الإسلام أنبتت أشجارا خصبة ..أنتم أيها المقاومون ثمرتها

أنتم ثمرة "هيهات منا الذلة"

وثمرة "فيا سيوف خذينى"

عندما أتطلع إليكم أعرف أن قائلها صدق "كذب الموت فالحسين مخلد ..كلما أخلق الزمان تجدد"

بهذه الكلمات أنهى مهدى محاضرته فى شباب المقاومة ..تطلع إلى ابتسامة "هادى " وهو يقول : جزاكم الله خيرا يا سيدى

ربت على كتفه وقال : يوما ما ..ستكون انت مكانى ياهادى ..أليس كذلك ؟

هو يعرف تلك الابتسامة المنبهرة جيدا ..ولذلك قال لهادى هذا ..يود لو رأى جيلا يعرف مايريد ويسعى لأجله ..هدفه بين عينيه لا يقبل أن يضيع..

اطرق هادى برأسه فى خجل وقال : أبى هنا يا سيدى ..لقد أتى من سفره ..والتفت ليرى والده خلفه مباشرة ..سلم جواد على مهدى وقبل رأسه..

تطلع مهدى لثوان إلى وجه جواد:

ذلك الوجه الذى يقول : يادنيا غرى غيرى ..لقد عرفتك حتى مللتك ..وجهه وجه رجل رأى الدنيا بكل حالاتها ..سافرة ومتسترة.. ضاحكة وباكية.. ورآها وهى على الحافة ..رأى من يبيعها..

فقبض على يد جواد وقال : بارك الله لك فى هادى ..أهو وحيدك ؟

قال :الحمد لله ..يكبره محسن وتصغره كوثر وسمية..

فتش مهدى فى جيبه كالمعتاد قبل ان يغادر هادى ووالده ..وجد تربة من كربلاء ..وضعتها ابنته زينب فى جيبه قبل ان يغادر ..هى تقارب هادى فى العمر وضعها فى يد هادى وقال : تربة من عند الإمام ..لا تصلى إلا عليها..

ابتسم هادى وقال : سأفعل يا سيدى..

تطلع مرة أخرى إلى عينى جواد وقال : بارك الله لك فى أهلك واولادك يا أبا محسن..

قال جواد : ولكم ياسيدى..

فى طريق العودة قال هادى : ألا ترى كم هو رائع ..ربت والده على كتفه وقال : لأجل التربة أيها الانتهازى ..لو قلت لى لأحضرت لك

قال هادى : لالا ..هذه من كربلاء ..من عند الأئمة..

عندها سكت جواد.. لقد كان فى كربلاء منذ يومين فحسب ..مر بها فى طريق العودة ..تعمد زيارتها على الرغم من خطورة وضعه الأمنى فى خارج لبنان والأوامر المباشرة له بأن حياته هى مهمته الولى

كان يحتاج لأن يجدد حزنه على الحسين مثلما تجدد عند قبر عصام ..كان حزنه الحسينى إن صحت النسبة هو وقوده الذى يحيا به ..كلما ثقل عليه

الحمل تذكر قمرا هاشميا يفنيه السيف هو وسبعين من أهله ..فيثبت ..ويصبر

..

..كان براء عندها يرتدى ثيابه ليغادر.. تطلع إليه والده وقال : مصر أن لا

تأتى معنا إلى المطار..

قال وهو يغلق ازرار كميه : ماشاء الله ..من العراق إلى لبنان ثم مصر ..ما

أبعد صاحبك العراقى عن أمته ..وشدد على لفظ العراقى..

قال والده : كل بهمه يابراء..

حرك يديه فى ضيق وذهب إلى امه : امى ..أغلقى لى زرار الكم هذا..

ابتسمت امه وقالت : تعال

قالت سلوان : اما انا فمتحمسة تماما ..السيد مهدى له رؤية رائعة..

التفت إليها وقال : سيدك أنت ..أما أنا فلا..

قالت امه : لاتجعل الأمر كله سواء ..تقبل الرجل على ماهو عليه..

أشاح بوجهه إلى النافذة وقال : الحمد لله ..متى أنال شهادة اعتمادى كجبهة المعارضة المتعفنة الوحيدة فى هذا المنزل ؟

قال والده : يعنى ..فى الأيام القليلة القادمة..

رد والده جعله يبتسم رغما عنه فقال : فى الأساس أنا كنت ربما آتى ..لكن عندى موعد الان مع د.سيرين..

وربما اصلى الجمعه بجوار بيتها ..لهذا لن آتى..

قفزت سلوان من مكانها وقالت : خالى ..أسيذهب إليها وحده ..يبدوا الأمر سخيفا وبلا معنى ..أريد أن اذهب إليها..

قال براء فى نصف ابتسامة : سآتى إليك بكل حلوى الدنيا ولا تأتى..

ابتسم والده وقال : لا تزعجى المرأة..

قالت : لا..ربما منزلها فارغ الان ..ربما ذهبت خادمتها لزيارة أهلها فى إحدى قرى الجيزة ..وستتحرج بالطبع من استقبال براء لوحده.. ارأيت يا خالى ..مهمة إنسانية..

وضع خالها قدح الشاى على المنضدة أمامه : ارتدى ملابسك ..براء سينتظرك ..

قال براء : من براء ؟؟ ابن جيراننا فى الأعلى ..لا يتعدى العاشرة المسكين ..كيف ينتظرها ؟

قالت أمه : لا..الوالد يعنى براء محمود ..أنت.. حوقل واستغفر وجلس..

بعدها بخمس دقائق كانت سلوان تقف امامهم..

تطلع إليها براء فى دهشة وقال : منذ متى ترتدين خمارا هكذا ؟ هل انتصر عمى فى معركة الخمار أخيرا ؟

قالت فى غيظ : ربما "الويندوز" خاصتك هو الذى يحتاج إلى تحديث ..أنا ارتدى هذا الخمار منذ عامين..

هز برأسه فى دهشة وقال : لم الاحظ..

وصل إلى بيت سيرين فى تمام العاشرة ..فتحت هى الباب ..قال : معذرة يا دكتورة ..لقد أبت ابنة عمتى إلا ان تأتى..

تطلعت فى ود إلى سلوان وقالت : ابنة عبد المنعم ..تفضلى..

قالت وهى تجلسهما : لكنك لا تشبهين والدك كثيرا يا سلوان ..هذه العينين

لا تشبه إلا عائلة والدتك..

ابتسمت سلوان فى خجل أدهش براء : شكرا..

استأذنتهما لدقائق ..التفتت سلوان حينها إلى براء وهمست وهى تشير بيدها :

غير محجبة ؟؟

أوما براء أن نعم..

همست : لكن خالى عصام كان صاحب ذوق للغاية ..يجب أن اعترف

تنهد : لاحول ولا قوة إلا بالله..

جاءت عندها سيرين بثلاثة اكواب عصير وعلبة خشبية تشبه التى تحفظ بها

المجوهرات..

وجلست: أعادت شيئا من الحكاية لسيرين ثم قالت: بعد هذا اليوم لم نعد كالسابق ..عرفت انه نال لوما من كل قيادات الجماعة الإسلامية فى الجامعة وخارجها ..وماكان عصام بمن يهتم للوم أو غيره..

لكنه كان وجه الجماعة فى الجامعة كلها ..وجه دعوتها ..وانا كنت وجه تيار الانفتاح والبعد عن الرجعية كما كان يقال حينها.. ولذلك لم يكن لنا أن نجتمع ..حينها على الأقل.. ولم يستمر الحال طويلا ..لم نستطع أن نستمر ..فاجأنى هو ذات صباح بأنه اتى وجلس بجوارى ولم ينطق بكلمة غير السلام عليكم.. بعد انتهاء المحاضرة التفت إلى ..نظر إلى بسرعة ثم أخفض رأسه كالمعتاد وقال :ثم ماذا ؟

قلت :لاأدرى..

قال : رغم انه ليس مبدأى فى الحياة إلا أننى أعتمده هذه المرة :مامضى فات والمؤمل غيب ..ولك الساعة التى أنت فيها..

عرفت أنه استأذن الجماعة فى ..أنه قال..وصمتت قليلا

قالت سلوان : ماذا قال ؟

قالت :كانت كلمة الحب الوحيدة التى سمعتها طيلة دراستنا فى الجامعه ..قال :قلت لهم أنك لى كنفسى ..أيعيش امرؤ بلا نفس! اقتصرنا بعدها على صبيحة السبت ..ولم نعد نلتقى إلا فى صبيحة السبت ..فى السابعة صباحا تماما كان يأتى إلى المدرج الذى فى الطابق الثانى على اليسار ..تعرفه يابراء.. أومأ براء بنعم.. كان يأتى ويستمع إلى فحسب ..أبدا لم يكن يتكلم كثيرا معى ...ولما أحس أننى لاأحب التحدث كثيرا ..معذرة وأشاحت بوجهها قليلا ..

أهدانى مصحفه ..مصحفه الذى لا يقرأ إلا به ..وعند سورة النور وجدت وريقة صغيرة كتبها

اعذرينى ..فبقلبى حديث يناقض الآيات

ولان أصمت أبد الدهر خير لى من أن تجمعنى بك معصية..

بك أنت دون الناس.. فى اليوم التالى ذهبت إليه ..وماكان هذا عهدنا ..أعطيته ذات الوريقة وبظهرها

ولك عهد أهل النور ان لاأنتظر منك حديثا أبدا ..عهد المؤمنين..

عندها ابتسم براء وتذكر كلمة أنس منذ أيام "عهد المؤمنين " ..تنبه للمرة الأولى أن أهل الالتزام لهم سمت عام فى هذه القضية تحديدا.. سمت المؤمنين..

أكملت سيرين حديثها ..كان رحمه الله عفيفا تقيا ..كنت أشعر أنه ينازع نفسه أن لاينظر إلى ..وكان يرفض التصوير تماما ..تعرف تلك الصورة التى أريتك إياها يابراء ..الصورة الوحيدة التى ظفرت بها من عصام ..كنا على وشك التخرج ..وكنت أعلم أنه لن يبقى فى مصر .. لم يقل هذا أبدا ..لكن اهتماماته كانت تشى بأنه لن يبقى

وفعل مهدى بى معروفا لا انساه له ..أتانى فى الصباح وقال :تريدين صورة لك مع عصام ؟ ..فى الأصل علاقتى بمهدى كانت طيبة ..طيبة جدا ..وكان عصام لا يعاتبنى عليه إن حدثته أوطلبت منه شيئا..

أعود للصورة ..قال لى :أشغليه قليلا ومعك لن يلتفت إلى شئ..

وفى اليوم التالى اعطانى الصورة وشئ آخر ..شريطا مرئيا..

وقفت سلوان وقالت :لخالى عصام ..قالت سيرين :نعم..

قال براء :تأذنين أن نراه ياسيدتى ..قالت : بالطبع ..أخرجت الشريط من علبته ووضعته فى جهاز الفيديو ..أغمض براء عينيه لوهلة :أسيراه حقا ؟؟حيا ..متحركا..

كان ذات الشريط عند مهدى لعصام ورفاقه وهو ينشد أخى أنت حر وراء السدود..كان الضغط شديدا على براء ..شديدا بشكل لا يتحمله.. أن تقرأ طيلة حياتك عن شخص ما ولشخص ما ..أن ترى صوره ..وأشياؤه..

لا يشبه أبدا أن ترى روحه الحية أمامك ..عندها أدرك براء كم يشبه عمه ..وذاك الإدراك زاد الضغط عليه كثيرا..

هذا ..الذى كان صديقا لأحد ..وحبيبا لأحد ..وابنا لأحد ..وقريبا لأحد..

هذا الذى كان ملئ السمع والبصر.. هذا الرجل أورثه عينيه ..وصوته ..بل واستشهاداته الشعرية حتى ! بدون أن يراه ..هذا الرجل باع الدنيا وطلقها من سنين ..وظل فى عدة طلاقها حتى أشهر قليلة ..هذا الرجل شهيد..

تحامل على نفسه واعتذر بالصلاة وأنه سيتأخر عليها ..قالت سلوان :وانا ؟

قال :وأنت ؟؟ تعالى صلى الجمعه لأن اليوم امامنا طوييل..

قالت سلوان : تعرفين ياخالة ..تاذنين أن أناديك خالة ؟

أومأت سيرين : بالطبع ..قالت سلوان :عمى مهدى سيأتى عند خالى اليوم ..وفى اهتمام حقيقى قالت :حقا ..براء ..أتخبر والدك اننى ربما آتى فى المساء ..هز براء رأسه وقال :إن شاء الله.. وتحامل على نفسه لينزل صامتا بلا كلمة واحدة

وكذا صلى الجمعة بلا كلمة واحدة ..خرج من المسجد وهو لايتذكر أن سلوان معه ..وفى السيارة التى اوقفها فى شارع جانبى أغلق على نفسه الباب ..وبكى ..كالمعتاد بل ربما أكثر.. بكى لنه يشعر أن الدنيا تلهيه ..وتجذبه ..وتنازعه..

وأنه لايشعر بأن إقبال الدنيا عليه سئ.. بكى لأنه شعر بالراحة فى حياة لاراحة فيها ..هو لايتخيل أن يتعلق قلبه بامرأة ولاينظر إليها ..ولايحادثها ..ويجتنب كل طريق للقياها.. لايتخيل أن باستطاعته أن يفعل هذا..

أدرك أن هذا يحتاج إلى أنس بالله لا يشبه ماهو عليه ..هو يصلى من الليل ..كثير الصيام ..كثير الذكر ..لكنه يشعر ان كل هذا لن يكفيه ليمتنع إن أراد ..وبكى أكثر عند هذه النقطة ..أحس أن الله عزوجل لم يبتليه بمثل أمر عمه لأنه لن يصبر ..وشعر أن به هوانا لأنه لايصبر على هكذا ابتلاء..

خرجت سلوان حينها من المسجد ..تكتم مابها حتى تصل إلى السيارة ..تعزى نفسها أنها ستصل قبل براء الذى بالتاكيد سيجد أحدا يعرفه هنا.. حديث سيرين عن سورة النور .."بقلبى حديث يناقض الآيات"

حرك فى نفسها شجن الغربة ..الغربة عن الآيات ..يكثر براء من تذكيرها بالتقوى وهى لاتهتم ..لاتفكر أصلا..

رأت عصام رجلا يقول "معاذ الله " ومعاذ الله هنا ليست معاذ الله عن "الكبرى " ..لا ..بل عن كل صغيرة تنافى أهل النور

وصلت إلى السيارة ..كان براء نسى بابها هى مفتوحا فدخلت.. دقيقة واحدة وخرجت ..تركته يبكى ..بعد قرابة الثلث ساعة انتبه إلى دقتها على النافذة ..دخلت ووضعت بينهما "حلوى البرتقال " التى كانت عشقا لهما ..وزجاجتى ماء ..ولم تتكلم معه إطلاقا ..قبيل البيت بدقائق قليلة قال : سلوان ..وسكت قالت : لم أسألك ..وأمام المنزل وجدت سيارة والدها وسيارة خالها فقالت :أستصعد الآن ..وأشارت إلى عينيه التى يفضحها البكاء ..أشار بكفيه خاليتى الوفاض وقال :ماذا أفعل ؟

للحظة أدهشتها سكينته ..لم تره هكذا أبدا ..هادئا ..كبحر مرت عليه العاصفة وتركته ..كأنه لم يعرف موجا قط..

أشارت بكيس الحلوى وقالت :كلها معى قبل أن نصعد ..بالتأكيد ابى أحضر معه بثينة وأبناؤها ..أبناؤها تعرفهم طبعا ..ها أبناؤها.. قال :لا ..جلس إلى جوارالسيارة ليأكلها..

وللحظة أخرى لم تشأ سلوان أن تعود إلى مقعدها ..ذاك هدوء يهددها هى ..أن تراه طيلة الوقت متكدرا مغيظا غير راض ..أو ناقد متكبر ..لا يشبه أبدا أن تراه هكذا ..كملاك هادئ.. هو فى تكدره قريب ..لكنه كقرب أشجار لا تشتبه أصولها ..ثمة مسافة فاصلة ..صغرت أو كبرت.. لكنه هكذا ..فى تلك الحالة ..قلب ضعيف ..مهتز غير ثابت ..قريب كقرب الشغاف من القلب ..هزت رأسها فى صلابة وقالت فى نفسها : لا ..ليس هو..

قال فى هدوء :مابك ؟

قالت :لاشئ ..تكدرت قليلا من ذكرياتهم..

قال : لا أدرى ..تعرفين ..منذ أيام قليلة جدا سمعت نفس الكلمة التى قالتها د.سيرين ..عهد المؤمنين ..وتقريبا عن نفس الموقف

تطلعت إليه فى دهشة :أنت ؟

قال فى ود لم تره عليه أبدا : لالا..لست أنا ..صديق لى اسمه أنس ..كان يحدثنى عن المؤمنة التى عاهدته فى وادى النطرون تعرفين أولئك البشر المتناغمين مع كل شئ ..هكذا أنس..

الحب بالنسبة له جزء من دورة الحياة ..شئ كالنفس ..قال الكلمة بلا قصد وبلا موعد ..فأدار رأسه ليرجع تلك الدمعة إلى مكانها فى قلبه ولا تخرج من عينيه..

قالت سلوان : واسمها آمنة ؟

التفت فى دهشة وقال :نعم ..كيف ؟؟

قالت :كيف أعرفها ..نعم .. لم يقل لك صديقك لماذا لا يلتقيها إلا فى وادى النطرون ؟

تلك رفيقة دربى منذ خمسة أعوام تقريبا ..من المدرسة الثانوية..

قال : لكن بوصف أنس لا تشبهك إطلاقا..

قالت :وما أدراك ..ربما نحن وجهان لنفس العملة..

قال : ربما..

قالت : لم تقل لى رأيك بالقصة ..عن لقاء الغرباء..

قال : ربما لن تسمعى منى هذا الكلام إطلاقا بعد اليوم ..لكنه عقيدتى فى الأمر.. ثمة أرواح تعرف قرينها إذا رأته ..فى الغالب تكون تجربة أولى غير مشوشة بأى مشاعر عابرة أو سابقة ..ربما التقت فى عالم الذر من قبل ..ربما تتشابه تلك الأرواح .. لم تدرسك سيرين من قبل ..لهذا لم ترينها جيدا ..سيرين تحمل روح مجاهد ..امتزاج الدم بالعطر ..قسوة الدماء ورقة العطر ..وللإثنين هالة أثيرية من الضوء والرائحة ..ألم تسألى نفسك ونحن معها :لماذا بقيت هكذا ..لماذا لم تتزوج ..لماذا مازال للذكرى كل هذا الشجن ؟قرار أن تحب شخصا مختلفا ..أن تقاتل من أجل هذا الحب قرار جهاد ..شئت أم

أبيت ..والفارق بينه وبين الهوى أن هذا الحب على غير هوى ..ما الهوى لامرأة تؤمن بالحرية المطلقة نوعا ما ..وبالتعددية المطلقة ايضا أن تحب..رجلا يقيدها ..لاحظى أنها قالت عن مهدى أن عمى عصام لم يكن يجادلها عليه كثيرا ..رجلا يختلف عن كل الأطروحات التى عرفتها فى حياتها..

قالت : ثمة عوج فى منطقك ..لكنه سليم فى النهاية..

قال : وماهو ؟

قالت :أنت تطبق المنطق على الحب وهو خارج القوانين..

أدهشها عندما قال : وهذا تفكير أعوج ..من قال أن المنطق والقوانين تنطبق على العقل فحسب ؟أو تخرج من العقل فحسب ؟للقلوب يا فاضلة دستور غير مكتوب ..ومنطق لا يدرس ..والعقل خاضع لهما!

بدليل : أنت مثلا ..لا ليس أنت ..فلك قانون مختلف ..أنس وآمنة..

المنطق القلبى يقول إذا وضعت أنس أمام بمنة سيبقى لديك شئ واحد ناقص لأجل هذه العلاقة ..شغف ..أما وقد وجد الشغف فالمر منطقى جدا عقليا

وقليا.. فالقانون القلبى يقول بعدم الحب فى حالة التناقض ..وافهمى معنى التناقض ..فاختلاف الخلق أو التفكير مثلا ليس تناقضا عند قانون القلب.. إنما ثمة ثوابت قلبية تنموا لدى المرء طيلة حياته ..عندما يشهد نفس الثوابت لدى قلب آخر يعرفه ..ينتهى الأمر

قالت :والشغف ..على رأيك يامولانا ؟؟ماتفسيره

ابتسم وقال : ذاك كالتفكير اللا واعى لدى القلب ..لا قانون يحكمه.. لكن تذكرى المعادلة ..ثوابت قلب وتشابه روح وشغف ..أنس وآمنة.. عندما دق جرس الباب فتح خالد ..زوج أخته بثينة ..احتضنه خالد طويلا وقال : كل هذه صلاة جمعة ...يارجل! سلم عليه وعلى سلوان..

تقافز عصام وليلى أبناء بثينة أمامه :خالى أين الحلوى ..أخرجت سلوان من حقيبتها كيس حلوى وقالت : هاهى..

قال براء :خالد أين ابى ؟؟

لم يأت بعد هو وعمى عبد المنعم ..الوالدة بالداخل هى وبثينة..

سلم على شقيقتة التى قالت : شهر كامل ولاأراك!

قال : ولم اراك انت ايضا ..ترك سلوان مع والدته وشقيقته ثم عاد لخالد :ما رأيك ؟رأيي بماذا ؟

أتقول لى ياخالد أنك لم تسأل مشايخك هناك عن حكم السلام على ال.....أستغفر الله

قال خالد: بصراحة سألت ..كان فى قلبى شئ ..ومازال ..رغم أننى أحمل فتوى بالجواز ..المشكلة عندى ليست فى تشيع الرجل كأصل ..المشكلة عندى فى هذه المدينة المذبوحة هناك فى بلاده التى يمثلها وفى برلمانها ..برلمان !! دنيا ..

عمك عبد المنعم وتعرف تساهل الإخوان فى الأمر وغسلنا يدنا منهم ..وضحك..لكن والدك ! الله أكبر..

قال براء : نحن نراه مأجورا ..والوالد لا يراه إلا صديقه القديم ..والود القديم ..لا ولو تعرف الكارثة..

أوما خالد :أسمعنى أسمعنى.. كانت له علاقة قريييييبة وعجيبة بأبو البراء..

أوف ..أوف ..أوف ..لا..تنهد براء :أقسم بالله ..تتخيل..

قال خالد : لحظة لحظة ..السنين تغير ..اليس كذلك ..ربما كان مختلفا حينها

..

قاطعهم جرس الباب فقام براء ليفتح: كان والده وعمه وأخيرا مهدى..

فى طول والده تقريبا ..لحيته سوداء فيها بياض يعد على الأصابع ..عمامته

سوداء وكذا عباءته ..يرتدى منظارا طبيا على عينين كعينى صقر... سلم خالد

فى أدب معتاد ..أما براء فقد فقد ابتسامته تماما وهو يصافحه..

جلسا على عجل هو وخالد لخمس دقائق فحسب واعتذرا بعدها بانشغال

مهم وعاجل..

عندما خرجا قال خالد :رأيت ابتسامة والدك ..مستحيلة ..ابتسامة راضية

..وعينيه ..أكثر من راضيية..

قال براء :وضحكة ال"باشمهندس "عبد المنعم ..تصم الآذان..

ذهبا لجلسة مع أصدقاء خالد القدامى عندما كان يدرس فى القاهرة ..واندمج سريعا ..وعاد لابتسامته..

عاد بعد صلاة العشاء ..قال خالد انه سيذهب هو وبثينة لزيارة صديق له وتركه يصعد وحده قائلا : جلسة موفقة مع اهل القبلة.. كانت سلوان ووالده ومهدى ..كان الحديث يبدوا ماتعا لكنه اعتذر بدراسته وأغلق على نفسه باب الغرفة ..راجع محاضراته قليلا ..وأمسك كتابا جديدا ليقرأه ..وبدا كأنه يريد أن يمضى اليومين بأقل الخسائر..

فى المسجد وفى صلاة الفجر أدهشه أن مهدى يصلى بجوار والده ..كان قد تخلى عن العمامة وظل بجلباب اسود ..لم يسجد على "تربة " كما تخيل براء ..كان قد طوى منديلا ورقيا فى موضع جبهته فحسب ..بعد الصلاة سارع بالخروج إلا أن والده قبض على يديه.. براء ..عمك يريد الجلوس معك ..امشغول إلى هذه الدرجة..

جلس ..وانتظر حتى انهى ورده وأنهى والده وصديقه وردهما ..ثم خرجوا من المسجد ..قال مهدى عندها : يا الله ..لو تتخيل يامحمود كم حلمت بهذا الصباح..

ضغط براء على نفسه ليقول :حقا ؟

ابتسم مهدى وقال : أنت تشبه ولدى ..اسمه مرتضى ..جادلنى طوييييلا عندما نويت زيارة والدك..

والعداء التاريخى والطبقى والفكرى والعقائدى أيضا كما يقول مرتضى

..صحيح ما أقول ..أنك تشبهه ؟

سكت براء.. عندها قال مهدى : لم اخبره اننا يوما ما لم نكن نفكر هكذا

..كان الحلم الإسلامى صافيا إلى درجة أننا لم نتنبه أن للنهر رافدين

..مشايخك وسادات ولدى هم أنفسهم الذين اهتزت قلوبهم يوم قامت الثورة الخمينية ..كلنا حلمنا ..كلنا ظننا أن الراية الإسلامية قريبة ..هم أنفسهم الذين رأوا فى الجهاد الأفغانى وبين هلالين "السنى " رايات المهدى..

لكن الأيام تبدل ..وتتغير.. تركهما محمود لما راى براء لا يعلق وصعد إلى البيت ..وبقيا هما فحسب أمام المسجد ..جلسا على السور القصير المحيط بالمسجد.. قال براء : وتغيرت أنت ايضا..

عندها قال مهدى : والدك يقول أنك تقول عنى شيئا يمت بالصلة إلى الوفاء ..الوفاء لإيران ..لكنك لاتعرف شيئا يابنى..

ووالله ..لولا أنك ابن عصام ومحمود لما طرفت لذاك قدر ثانية..

يوما ما ..كنت هنا ..طالبا فى كلية الهندسة ..طالب وصلت علاقته بوالده حد الخطر عندما أراد دراسة مدنية لاعلاقة لها بالعمائم ..مع اننى استفتيت يومها الخمينى ذاته ..وانفقت والدتى حفظها الله من حر مالها لأدرس هنا.. كان جدى مرجعا ..وابى ..وعمى ..وأخوالى ..وإخوتى ..كلهم معممين ..كلهم بلغوا درجة الاجتهاد ولما يبلغوا الثلاثين ..وكنت معهم ك..لا أدرى ..كنت معهم عندها كيزيد ينكث بقضيب ثنايا الإمام أبا عبد الله..

وما كنت أهتم ..وعندما عدت إلى كربلاء كان الجو معتما بشكل لاأتخيله ..كانت الأخبار قد انقطعت عنى قبل تخرجى بستة اشهر.. لقد وصلت يابنى فى اربعين أخواى ..قتلهما نظام البعث ..وقتل عمى..

قتل ستة من عائلتى فى يوم واحد ..وترك والدى الذى كان مرضه على وشك أن ينتهى به ..ماذا تظننى أفعل ..ماكان لى غير عمامة اخى المرتضى لرتديها ..وعباءة باقر لألبسها ..وتربة عمى مجتبى لأسجد عليها..

كان الميراث ثقيييييييييلا ..ثقيلا جدا يابنى..

قال براء فى خفوت :ولا ألومك..

تنهد مهدى وقال : وكان على ان احمل ميراث العائلة التى تتبعها جل عائلات كربلاء ..ميراث الألم ..والثورة..

ذهبت إلى مشهد وقم من جديد ..ودرست من جديد ..نلت درجة الاجتهاد فى ثمانية اعوام فحسب ..أنت تظننى عميلا لإيران ..لا ..الأمر ليس هكذا ..أنت لاتستطيع ان تجعل ميزان إيران واحدا لكل الدول..

إيران بالنسبة لى مرجعية ..كأردنى يستفتى رجال الأزهر لأنه يثق بهم ..وأنا أثق بهم..

قال براء : والفلوجة المحاصرة ياسيدى ؟؟ ألا تهم مرجعيتك ؟

تنهد مهدى طويلا وقال :ذاك مثلث التوازن يابراء ..التوازن الذى اتعبنى ..إيران تهتمم بالعراق لن فيه مقدسات كالنجف وكربلاء وسرداب سامرا ..لكنها لاتهتم بالفلوجة ذات الأغلبية السنية ..ببساطة لأنها لاحاج للها بها ..

وفى نفس الوقت تريد الاستمرار كفاعل فى قرارات العراق.. واالأمر الثالث هو الاحتلال الأمريكى الذى أثبت أن بعض ساستنا لديهم قدرة على التحالف مع الشيطان بذاته لأجل.. وانا بين ضميرى ..والثورة التى اريد نقل تجربتها ..والاحتلال

كانت الشمس قد أشرقت تماما ..وبدا كأن أشعتها قد ضايقت براء فقال :لابد ان امى أعدت الإفطار الآن..

طوال الإفطار كان براء صامتا تماما ..أما والده فقد كان يتحدث مع مهدى على تركيب هندسى ما ..أدهشه أن مهدى مازال يتذكر ..مع أنه "عمليا " توقف عن المهنة منذ سنين..

فاجأه قول مهدى : تقول كيف أتذكر ؟ صحيح

ابتسم براء وقال : نعم..

رد مهدى : ولدى يدرس الهندسة فى طهران ..أعادنى إلى الاهتمام من جديد ..

قال محمود : وعائلتك ؟ ألم تعترض على دراسته ؟

أومأ برأسه وقال : اعترضت ..لكن يامحمود من بقى منها ..على شفاه الله ..ومحسن رزقه الله بما يشغله ..تذكر محسن الذى كان يقول لى :لقد خرجت عن منهج آل البيت.. محسن أبناءه الأربعة ابتلاه الله فيهم ..والله المستعان ..وجدى ..وصمت قليلا.. ثم قال وجدى مريض ..ورغم مرضه هذا لم يسكت بالطبع ..لكن من يعترض ..الدنيا تتغير يا محمود ..تعرف مرتضى

على تشدده هذا لايستمع إلا إلى الوعاظ المدنيين كما أسميهم ..أشبه بوعاظ البروتستانت فى الغرب..

ضحك براء وقال : وما المشكلة ؟؟

هز مهدى برأسه وقال : ليست مشكلة إطلاقا ..الفكرة فى أن التغيير لا مفر منه..

ابتسم براء وقال : ولماذا لم ير العالم هذا التغيير فى عاشوراء ؟ مشهد الدماء والتطبير أعادنا إلى عصور لاتاريخ لها .."ولم تفته إبتسامة والده غير الراضية"

قام مهدى وقال : أغسل يدى أولا ثم أخبرك لماذا

جلس براء على مقعده المفضل مواجها لوالده ومهدى اللذين جلسا متجاورين ..أمسك مهدى بزجاجة الماء التى أمامه وقبض على فوهتها ..كانت الزجاجة فارغة ..اعتدل قليلا ثم قال : مارأيك لو قلت لك سيحكمكم "أحمد النفيس "مثلا ..تعرفه بالطبع..

قال براء :لاطبعا ..لا أوافق..

قال مهدى : وكذلك كان صدام لنا ..اقترب منى قليلا يابراء ..وقف براء على بعد سنتيمترات منه..

ابتسم فى وجهه وقال :درست الفيزياء بالطبع ..ضحك براء وقال : ومادخل الفيزياء بالأمر ؟

قرب مهدى الزجاجة من وجه براء ورفع إصبعه عن فوهتها ..فابتعد تلقائيا..

قال مهدى : هذا ..الضغط يولد قوة عند الخروج ..أليس كذلك ؟

قد ترى فى مراسم عاشوراء نوعا من تعذيب النفس وتحميل الخطايا للذات وهذه الخطايا لا يخرجها إلا الدم ..لاأخفيك سرا أننى أراها دخلت إلينا عن طريق النصرانية ..الإحساس بالإثم الداخلى..

لكن ماحدث بعد سقوط نظام صدام هو ماحدث للهواء بعد ضغطه كثيرا ..سنمكث طوييلا حتى نتخلص من عقدة الأقليات التى لازمتنا لسنين ..رغم أننا فى العراق لسنا أقلية ..لكن عقدة الاضطهاد ..عقدة أنه فى مكان ما ..فى

زمان ما ..هناك من يتربص بالحسين لكربلاء جديدة ..هناك من يريد سوءا بالموالين

قال براء : وأنت ياسيدى ؟ أين عقلك ؟

ابتسم مهدى طوييييلا وقال : لولاه لما جلست معك هنا الان..

عندها تذكر براء شيئا فقال : بالمناسبة يا أبت ..د.سيرين كانت ستأتى بالأمس ..لكنها اعتذرت وقالت أن موعدها اليوم ..ونظر إلى مهدى وقال :قالت أن لها ودا قديما معك..

ابتسم مهدى وقال : ذاك ود من باب ود آل البيت عند النواصب ..لا يودونهم إلا لقربهم من رسول الله..

ضحك براء وقال : لا ..تذكرك بالخير ياسيدى..

قال مهدى : لم تكن هنا بالأمس عندما غادر عمك عبد المنعم ؟؟ لعله كان خيرا ذاك الذى كنت مشغولا به..

لأقل من ثانية شعر بشئ شبيه بنقرة فى قلبه لكن أطفأها بابتسامته وهو يقول : كان خيرا ..كان خيرا..

سأذهب إلى الجامعة الآن ..قال والده :أدر محرك السيارة قبل أن تذهب ..لأننى وعمك على وشك النزول ..سنطوف القاهرة القديمة كما مضى..

عندها قال براء : تعرف ..محاضرتى فى العاشرة ..لابأس أن أصحبكما فى هذه الجولة .. لم اذهب إلى هناك منذ متى ؟

منذ متى يا أبى ؟

قال والده : منذ أن نزعك عرق جدك الصوفى رحمه الله وتصوفت قليلا ..منذ خمس سنوات ..أتذكر ؟؟

ضحك براء وقال : رحم الله الجميع ..تذكرت ..سأنزل ريثما تستعدان للخروج..

فتح السيارة ..وجد كيس الحلوى فى مكانه بين الكرسيين ..كان قد وضعه فيه بالأمس ..ابتسم وفقط ..وجد شريطا جديدا كان للتو قد أحضره له أحد زملائه منذ أيام..

وانتظر وهو يستمع إلى الأبيات التى هزت قلبه يوم سمعها للمرة الأولى:

إن قلت هذا منهجي قالوا تشدد ما تزن

من لي بعبادٍ لهم في الليل أصوات تأن

وأنيسهم محرابهم قلباً شكا نفساً تحن

فالحق لم يترك ليَ خلاً يقاسمني الشجن

..أوقف الشريط عندما دق والده النافذة عليه..

سألهما أين العزم اولا؟؟

قال والده :اذهب للأزهر ..ومن هناك نذهب للحسين..

أطرق قليلا فقال والده : على رأيك بأن الحسين لم يدفن إلا فى كربلاء ..ولم تدفن لا رأسه ولا غيرها هناك فأنت لن تعين على المعصية ..هذا ما تفكر به ..

قال مهدى : نحن نسميه مشهد الحسين ..وليس قبره ..أنا كذلك أرى أنه لم يدفن أى من أجزاءه هناك..

فى الأزهر صلى ركعتين منفردا ..وترك والده وصاحبه يجلسان تحت سارية من السوارى المطلة على صحن المسجد..

أخذ يتطلع إليهما من بعيد ..هو لم يجد مشكلة مع الإختلاف من قبل ..هكذا تربى ..حتى عندما قرر ترك الإخوان منذ عامين .. لم يناقشه والده كثيرا .وعندما أحجم عن الترك لم يناقشه والده أيضا ..هو والده الذى علمه الاختلاف ..علمه أن الله سبحانه وتعالى جمع أقوال الكفار وأهل الإيمان فى كتابه ..نعم أقام الحجة على الكفار فى أقوالهم لكنه جل وعلا لم

يطمسها ..بل ذكرها ..وأنه سبحانه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة ..لكنه جعلهم مختلفين..

هو تعلم أن يعتنق العقيدة الأصوب ..التى يعتقدها أصوب ..ويفهم أن للآخرين عقل آخر لا يشبه عقله ..ولذلك تتغير أفكارهم ..وكذلك عقائدهم ..

لكنه يعيب على مهدى ما رآه عمالة ..هو لا ينكر أن للرجل حجة فيما يفعله ..هو أخبره أن لديه ولدى أهله فى العراق هاجس أن يحكمهم من ليس منهم فيفنيهم ..من يخالفهم عقيدة فيتعبهم..

كان مهدى حينها قول لمحمود : أتعلم شيئا ..بت أخشى أن أقرأ كالماضى ..تجربة الثورة التى أحببت ان أنقلها تنذرنى بالخطر الآن..

مجلس الحفاظ على الثورة لا يجب أن يكون فقهاء فحسب ..يجب أن يضم كل صاحب رؤية إسلامة فى مجاله..

لا أخفيك أننى وجهت مرتضى من حيث لا يدرى إلى أن يبتعد عن الدراسة الحوزوية..الدنيا تتغير والإخوة فى قم على ماهم عليه منذ عرفتهم ..مازالو فى مصطلحات روح الله الخمينى القديمة ..الدولة لن تبقى كماهى لعشرين عاما ..بلا تغيير!

قال محمود : وماذا ستفعل ؟؟

هز رأسه وقال : لاأدرى ! ..صدقا لا أدرى ..ماقلته لبراء عن إيران هذا الصباح لا شبه أبدا ما يتكون فى نفسى منذ فترة

لم تعد إيران مرجعية لى كما السابق ..نعم مازالت ..لكن لس كالسابق..

بت أخشاهم يامحمود ..أتعلم ..ثارات الفرس القديمة مازالت حية فى النفوس ..فى بعض نفوس المراجع ..خاصة من أصولهم فارسية..

قال محمود : لكن أمك إيرانية يا مهدى..

هز رأسه وقال : لكننى نصف عربى ..الظل الصغير الذى لا يرى فى تعاملاتى مع المراجع هناك ..سواء فى كربلاء أو فى قم ..ظل لا يرى ..لكنه يؤثر.. أن العرب هم بنو أمية ..هم بنو العباس ..الذين قتلوا الأئمة..

قال محمود : لس إلى هذه الدرجة ..رسول الله صلى الله عليه وسلم عربى..

قال مهدى : صلى الله عليه وآله ..أعتقد أن هذا هو السد الأخير لاحترامهم العروبة ..أنت تظن اننى مخطئ فى اعتقادى ..سترى يامحمود ..ستبدى لك الأيام..

عندها جاء براء وقال : سأذهب بكم إلى الحسين قبل أن اغادر أم ماذا ؟؟

قال والده فى ود : هيا..

دخل الحسين خافضا رأسه حتى لا ترى ابتسامته كالمعتاد ..وعند المشهد رأى مهدى يلمس بيديه النقش الفضى على واجهة المشهد :هذا قبر الإمام الحسن ابن سيد الوصيين ..رآه يتلمسها والدمع ينحدر من عينيه ..ابتسم ابتسامة المتعجب وتطلع إلى والده فهمس والده إليه: ذاك سر بينه وبن الحسين فلا

تفسده بنقاشك ..قال وهو يتطلع إلى ساعته : لم يعد ثمة نقاش ..الوقت

يكفى مسافة الذهاب بصعوبة بالغة ..وداعا ..ربت على كتف مهدى وقال :

جدد حزنك ياسيدى..

وخرج ضاحكا!

حمزة ..هل اذن الظهر ؟؟

التفت حمزة ذى الوجه الأشقر والملامح التى لاتمت للعروبة بصلة إلى صاحبه

وقال : لا..ليس بعد..

قبل أن يغادر صاحبه قال : على ..أتعلم أين اجد السيد سياف ؟؟

قال صاحبه : تجده على رأس الجبل ..فى مكانه المعتاد..

قبل أن يغادر جاءت الصغيرة ..زهرة الجبل كما يسميها ..قالت بفارسية

منغمة بلكنة لا ترى : أخى ..أخى ..أن ستذهب ؟؟

ابتسم فى رقة وقال : إلى اعلى الجبل ؟ ماذا كنت تريدين ؟

قالت : الحاسب ..به عطل ما ..قال : سأنزل لأراه ..انتظرى قليلا ..ألم تخبرنى أنك ستضعى غطاء للرأس ..لقد بلغت الثانية عشر..

هزت رأسها فى إغاظة وقالت : لا ..لن أفعل بعد.

استغفر وقال : هيا..

قال وهو يقف مشدوها امام الشاشة : نسيت كلمة المرور ؟؟ يا الله!

قالت : ماذا أفعل ؟ "وما أنسانه إلا الشيطان"

قال وهو جلس إلى المقعد : مسكين ذلك الشيطان ..يتحمل اخطاء ليست له ..انتظرى سأجرب قليلا

serena 79لالا ..غير صالح..

serenaaaaaaaaaaغير صالح ايضا

seren esam ..

لما رأى الشاشة تفتح قال : وهذا غباء أيضا ..تضعين كلمة المرور باسمك الصريح ..حقا بارك الله فيك

قالت : وما المشكلة ؟؟

قال : لا مشكلة ..رتبى لى ملفات الكتب القديمة و...سكت قليلا..

قالت : وماذا ..قال :لا تعبثى بأشياء والدك ..قالت وقد بدأت بالبكاء : لا ..أريد أبى..

جلس أمامها فى رقة وقال :سيرين ..سيرينا ..زهرتى ..هذا طريق الله ..وهذا سبيله ..سبيل الله الذى رباك والدك عليه..

..طريق أهل النور ..أهل البيعة

قالت وهى تمسح عينيها بكمها : أريد أن أذهب لجدى فى قندهار!

قال : قلت لك فى الشهر القادم ..الأوضاع الأمنية من هنا لقندهار لا تتحمل أن اخاطر بك ..لما رآها صمتت ابتسم وهو يتأملها.. تشبه والدها ..لشدة ماتشبهه .. لم ترث لون عينيه ..لكنها ورثت أنفه ..ونظرته ..وضحكته ..وشعره ..تشبه أستاذه ..أستاذ الأساتذة.. ربت على كتفها وقال :ساذهب إلى حاجة لى ..تريدين شيئا عندك زوج أبو معاذ ..اذهبى لها

كان سياف صامتا وهو يتطلع إلى الهوة التى تنتهى فى الوادى أمامه :أحس بصوت القدم من خلفه فقال :حمزة..

قال حمزة : متى ننفذ الهجمة القادمة ..قوات التحالف تظن أننا سكتنا ..وتتباهى بالأمن الذى تعيش فيه..

التفت إليه سياف وقال : وضعت خطة جديدة للهجوم ؟؟

أشار إلى نقطة أمامه فى الوادى وقال : هناك رتل من الدبابات يمر كل اثنن من هنا ..وقاذفات الصواريخ التى لدينا لاتكفى ..وأنا أفكر فى حل " الألغام " ..الألغام من هناك ..وقاذفات الصواريخ من هنا ..اجتماع الأرض بالسماء..

قال سياف : لقد علمك أستاذك جيدا..

ابتسم وقال : استاذى يا ابو أسامة ..أستاذى..

وكأنه تذكر نفسه منذ خمسة اعوام ..صحفى يدخل أفغانستان بحثا عن قصة ..مجنون ..ومغامر ..يخالف البرود الإنجليزى الشهير ....يشبه الماء الفوار ..فى الواحدة والعشرين..

لا يؤمن بالمسيحية ..ولا اليهودية دين والده .لا يؤمن بشئ ..سوى الإنسان

..

يتذكر اختطافه ..فقط لأن صليبا أهدته إياه امه وقع منه بالقرب من مركز

شرطة طالبان ..ويالحظه!

يتذكر خلافاته الشرسة مع الحراس عندما جاهر معهم بإلحاده ..ويتذكر أنه

كان على حافة الموت أكثر من مرة كلما لوى أحد الحراس بندقيته تجاهه

..فيقبض الآخر على يديه ليقول : هذا أسير ..والأسير لا يقتل..

كان يعرف الفارسية التى يتحدث بها الحراس ..يتقنها..

ويتذكر بكل حب ذاك اليوم الذى قال فيه أحد الحارسين للآخر ..إن أبو

البراء فى زيارة للموقع ..مارأيك لو جعلناه يحادثه ..ربما يصلحه قليلا.. ويتذكر

للوهلة الأولى وجه عصام بعمامته السوداء ..ولباسه الأفغانى الأسود..

يتذكر كيف سأله عن بلاده ..وعن عائلته ..وعن عمله.. ذات يوم قال له

عصام : يوم رأيتك قلت فى نفسى ..هذا اسد ..هذا حمزة ..ولم اكن أعرف

عنك أى شئ ..إلا نظرة التحفز فى عينيك ..يتذكر حمزة كيف صار –روبرت – حمزة..

كيف أقنعه عصام بالإسلام ..ذلك اليقين الذى كان بين عينى عصام هو السبب ..بالطبع بعد كتاب الله..

يتذكر فكرة عصام ..وعقيدة عصام ..وثبات عصام ..ورقة عصام.. يتذكر يوم اسلم ..تلك الضمة التى ضمها له ..كأنه يوصيه ..يباركه ..يعلمه ..عندما وصل إلى هذه النقطة قال بهمس وهو ينفثها مع الريح :أنا على العهد يا أخى ..على العهد..

فى الثامنة مساء اوقفت سيرين سيارتها على مدخل الشارع الذى يقع به بيت محمود ..وفى أوله من الناحية الأخرى بيت عائلة عصام ..الذى تسكنه والدة محمود الآن فحسب.. هاتفت براء منذ ساعة وقالت انها قادمة..

لم تشأ أن تدخل بسيارتها إلى الداخل ..لا تطأ ترابا وطئه هو بقدمه إلا بقدمها ..حتى الآن لا تدخل بسيارتها الجامعه..

تذكرت ذلك اليوم الشاتى البعيد ..يوم علمت من منال أنه سيسافر ..قالت منال أنه سيسافر إلى جدة ..لكنها علمت أنه سيسافر سفرا أخيرا ..ولن يعود ..تتذكر يوم هاتفته من المحل المقابل لمنزلهم وقالت : عصام ..أنا بالأسفل ..انتظرك..

كأن الزمن يدور ..ويعيد نفسه ..كانت ترتدى لباسا يشابه لون مايرتديه هو تماما..

ابتسم عندما رآها ثم اخفض بصره كالمعتاد ..قالت :ستغادر..

قال وهو يتنهد : نعم ..سأعود بعد ستة اشهر ..إجازة العمل الأولى بعد ستة اشهر..

قالت : عصام ..لن تعود ..أنا أعلم أنك لن تعود..

اطرق برأسه وهو يقول : لا أستطيع البقاء هنا ..الجو يخنقنى ..كل شئ يخنقنى ..العمل الإسلامى أحب من هنا كثيرا..

وأفغانستان تحترق ..ورايتنا مطلعها من هناك ..كيف أبقى هنا ؟؟

سأكون من المخلفين.. أترضينها لى ؟؟ أن أكون مستبدلا ..مخلفا..

قالت : أنت تذهب إليهن إذن..

ضحك فى ألم وقال : لمن ؟؟ للحور العين ؟ تفكرين هكذا ..تغارين..

قالت : أنسيت أنك أسمعتنى وحدى ..ودونا عن الدنيا كلها وصف الحور من

نونية ..نونية ..تذكرت ..نونية ابن القيم..

قال : وقد يعزف الرجل عن نساء الدنيا والآخرة ..وتبقى امراة واحدة فى نفسه

..حاجة لم تقض..

قالت : بالله عليك لا تزدها على ..بى مايكفى..

قال : سيرين ..والله ..وقسما بربى جل جلاله ..لاأدخل الجنة إلا وأنت أول

من اشفع لهم ..أن نلت الشهادة الان أو بعد عشرين عاما..

ذاك عهد لا أخلفه ..أنت أولا ..قبل ان اطأ الجنة بقدمى..

قالت : أتأذن لى..

قال : بماذا..

قالت : بشئ لا أبرم عهدك إلا به ..لا أقبله إلا به..

هز رأسه فى حيرة: بضت على يديه ..لأول مرة فى حياتها ..وأحست به يجفل للحظة واحدة ..ويستكين ..وقفت على أطراف أصابعها وقبلت جبينه ..صارت يديه كالجمرة بين يديها .ثم أطرقت..

قال : ثم ماذا ؟

قالت :أنت قلتها ذات مرة لمحمود ولم يدر بخلدك أننى سمعتك..

فقلت معاذ الله أن يذهب التقى ..تلاصق أكباد بهن جراح..

وذاك جرح أربع سنوات ياعصام ..وأنا والله أقولها :معاذا الله أن يذهب التقى ذاك..

همس : سأشتاقك..

تلك الدقائق التى أوقفت بها عجلة الحياة للحظات ..كانت تدرى أنها زادت وجعه أثقالا ..وزادت وجعها أثقالا..

ذاك أن بعض الوصل أمر من سنين من الفراق..

لا تعرف أنه لم يتوقف أبدا ولا مرة فى حياته بعدها عن صيام الثلاثاء ..ولم تره يقول كلما أفطر :اللهم اغفر لى ولها ذاك اليوم..

عندما دقت جرس الباب فتح لها براء فى نفس اللحظة ..ابتسم وقال : لقد عرفت المنزل وحدك ؟؟

قالت : أعرفه منذ سنين..

قال : تفضلى ..كانت والدتى تريد أن تراك لكن لديها موعد الآن ..قالت : ربما أراها ..وما يدريك..

ما أدهشه فى سيرين هذه المرة أنها كانت تضع غطاء رأس على شعرها ..غطاء خفيفا ..لكنه غطاء فى النهاية ..وهى لاتفعلها أبدا..

لما رأت الدهشة فى عينيه قالت : لقد صار مهدى معمما ..رجل دين..ومن احترامى للدين احترامى لرجاله ..أليس كذلك؟

ابتسم وقال : ربما .. تفضلى..

سلمت على والده ومهدى.. قال والده : كيف حالك ..صرت أطمئن عليك من براء ..أومأت برأسها وقالت : بخير ..الحمد لله.. قال مهدى : لقد مضى كثير من الوقت ..وأراك كما أنت .. لم يتغير شئ..

قالت وهى تجلس : بل تغيرت يامهدى ..كما تغيرنا جميعا..

كان النقاش لا يخرج عن حالة العراق والهندسة فحسب..

أما براء فكان صامتا ..لا يدرى كيف تسلل له هذا الإحساس بأن ثمة حلقة مفقودة فى النص ..ثمة هامش لم يكتب ..بل تناقله أصحابه كسر لا يتحدث به..

والده يتحدث بطبعه ..منفتح فى حدود ..لكن مهدى كان أكثر تحفظا فى الحديث ..مع أن تحفظه هذا لم يره مع سلوان بالأمس ..كان يضحك ويمزح ..لا ليس كما يتحدث الآن..

وسيرين تغادر جاءت أمه ..تذكر كلمتها وهى تقول : ربما أراها ..وما يدريك ..

جلست مع والدته بينما عاد إلى والده ومهدى .. لم يدخل ..أوقفه على الباب شئ ما..

كان مهدى ينقر بيديه على الطاولة وهو يقول : فعلها ولدك بى..

ابتسم محمود وقال : فرحت عندما اعتذرت بالأمس عن المجئ ..لكنها جاءت ..طوال الجلسة وأنا أفكر بك ..أفكر بك وحدك..

قال مهدى : لا تظن أن بى وجعا ..لا والله ..مابقى إلا كأثر الجرح بعد الشفاء ..أثر فحسب ..لا يوجع ..ولا يؤلم ..ولا يصنع أى شئ ..ما ضايقنى فى الأمر أننى أقسمت يوما أن أحفظ لعصام حرمته ..حتى فى نفسى ..ووالله حفظتها..

أن ألتقيها بعد موته ..لا ..أحسست أن الأمر يخدش حرمته فى نفسى..

وأطرق برأسه وهو يقول : تذكر عصام..

كان الجو عصرا يومها ..ومهدى جالس إلى جوار أحد المبانى وهو ينجز شيئا بقلمه..

جلس عصام بجواره وهو يقول : أنا أعلم ..وأفهم ..ولا يضايقنى الأمر بقدر ما يضايقنى ضيقك..

قال مهدى : وتنكر الدماء فى عروقك ..وتنكر طبعك الذى طبعت عليه..

هز رأسه وقال : مهدى ..لوكان غيرك لتغير الأمر ..لكنه أنت ..وأنت تعنى ذلك الفتى الذى مع خلافى معه لم أره فى ريبة أبدا ..رأيته "سيدا وحصورا " ..وهب أننى أغار منك ..وهب أيضا أن الدم يغلى فى عروقى ..لكن للود حرمة لا تدنس يا مهدى.. حرمة تجعل رسول الله يشفع لأصحابه ..قبض على يديه وهو يقول : إنه أنت..

يومها ..أقسم مهدى أن يحفظها لعصام ..وأغلق الباب بمفتاح وألقى المفتاح حيث النسيان..

أحب زوجه وأم بنيه بعد هذا ..وصارت له كل شئ ..كل مفردات النساء ..وبقى الأمر كما قاله لمحمود : بقايا جرح قديم ..أثر فحسب..

اكتمل النص عند براء تماما ..لم يدر بنفسه إلا وهو يقول : يارب أرض نفوسا خافتك ..وأرض نفوسا لم تخفر عهدا..

فى الصباح كان يفطر مع والده ومهدى ..طائر ة مهدى بعد العصر ..كان براء يقول : الفلوجة ياسيدى ..تذكر أن هناك بلدة تذبح ..قال مهدى : ياولدى أنا لا أنسى ..لكن ..وصمت...

قبل أن يغادر إلى الجامعه سلم على مهدى وهو يودعه ..ضمه مهدى إليه وقال : مازال بك بعض الجفاء ياولدى..

وضع مصحفا فى يده ..فى جلد المصحف الخلفى نقشت كف حمراء ..قال مهدى بود : ذاك مصحفى الذى رافقنى طيلة هذه الرحلة ..هذه الكف يرمز صاحبها لكف العباس أخو الحسين عليه السلام ..قطعت وهو يدافع عنه ..وأنا أقرأ أتمنى على الله أن أكون من المدافعين عن الحق كما كان العبباس.. جاهد ليخفى ضحكته ثم قال : جزاكم الله خيرا.. وضع المصحف فى جيبه وغادر..

فى الجامعه قابل أحمد الذى قال : ظننت أنك اختفيت من الدنيا! ابتسم ولم يعلق..

فى المساء قابل أنس ..فى درس الأصول كالمعتاد ..فاجأ الشيخ بشرحه لنظرية الشيعة فى القياس ..ذاك أنهم ينكرونه فى أظهر أقوالهم ..قال الشيخ : أين ذهبت فى عطلة الأسبوع يا براء ؟

ابتسم براء وقال : لا يا شيخى أبدا ..لم أخرج من القاهرة..

قال الشيخ : إذن جاء مشايخ النجف الأشرف إلى هنا ؟ ابتسم براء وقال : ربما..

كان مهدى قد شرحها له على عجالة فى الصباح بعد صلاة الفجر ..وأدهشه انه استوعبها فى دقائق....

بعد الدرس قال أنس له وهما يخرجان : صاحب والدك ..قل لى من هو الآن ..

فى هدوء غمس بشئ من الشرود : مهدى الموسوى ..ابتسم انس وقال : رائع ..والدك لا يعرف إلا الرؤوس!

قال براء : الرجل إنسانى بشكل مفزع ..مفزع يا أنس ..تفاصيله بشرية بشكل غريب ..لا تلك التفاصيل الشيطانية التى نتخيلها إذا رأيناه.. رجل يصبر ويحب ويتذكر ويود ويخشى ويتقى ويفكر..

قال أنس : تعرف شيئا ..قاله لى والدى عندما زرته آخر مرة ..لا أذكر جيدا ما الذى جعله يقول لى هذا..

كان يقول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صديقا لأبى بكر قبل البعثة بسنوات ..سنوات طويلة .. لم يكن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيا ..ولم يكن أبى بكر هو الصديق صاحب رسول الله..

تلك هى البشرية المغروسة فينا ..وأول ما أساء فى فعله بعض أهل الصحوة الإسلامية أنهم لغوا عامل البشرية من الأمر ..نعم الولاء والبراء مطلوبان

..لكنهم لونوا العالم بلونين أساسيين ..إما معسكر العداء أو معسكر الأصدقاء..

وهب أننا اختلفنا فى حكم شرعى واحد ..وليكن حكم اللحية مثلا ..فذاك كاف لينقلك من معسكر إلى معسكر..

مع أن التاريخ الإسلامى ليس هكذا ..التاريخ الإسلامى فيه حاطب الذى خان ..فيه القراءات السبعة ..فيه اختلافهم فى الفاتحة ..ذا كأحكام شرعية..

فيه أبا محجن الثقفى وخمره ...فيه الزبير وشدته ..فيه عمر وغيرته ..فيه الصفات الإنسانية التى يقدرها مجتمعها ويتعامل معها بناء على ذلك ..صحيح ..فيه قول رسول الله عن ابى العاص بن الربيع زوج ابنته وهو كافر حينها : حدثنى فصدقنى

قال براء : تعنى أنهم الغوا إنسانية المخالف ؟؟

رد أنس : ليس بشكل صريح ..لكنه مفهوم النص ..مفهوم النص أن فلان هذا كافر ..أو مخالف ..فهو إذن لا يستحق أن نقدر مافيه من خير ..خير

لأنه إنسان ..لأن به من صفات البشر ..وهذا ما أدرى إلى تلك الفترة التى حصر فيها الدين على فلان وفلان.. نعم ..قطعنا كمجتمع الآن شوطا كبيرا فى ترسيخ الإسلام المجتمعى ..لكن أما كان لنا أن نقصر المدة؟

ابتسم براء وقال : لا عليك ..كلها أقدار الله..

قال أنس : بالأمس جاءنى عمار ..تعرف عمار بالطبع ..قال لى وهو ينهى الحديث وكأنها نصيحة مشفق : أنا اراك تحادث د. سيرين فى المحاضرة وغيرها وهذا يرحمك الله ربما يكون من مودة أهل الباطل وهذا أعيذك عنه..

ضحك براء بشدة عندها وقال : سيرين ..أهل الباطل!!

قال أنس : المسكينة ..أنا الوحيد تقريبا من ضمن مجموعتنا فى الفرقة الذى لا يجد حرجا فى الحديث معها ..امرأة مؤمنة إلى ابعد حد ..بها إيمان لا تتخيله يابراء ..وفطنة ..وفراسة لا تخطئ.. تذكر براء موقفها مع والدته بالأمس..

ابتسم وقال : تلك كانت الدنيا ..لأبى البراء..

ضحك أنس وقال : لا أتعجب أبدا ..تستحق ويستحقها ..قال براء : لا احد يجر ان يوجه لى تهمة أهل الباطل بالطبع..

قال أنس : اخفض جناحك للناس ..قليلا قليلا ..ما أريد أن اجعل الدنيا تفهمه ..أن دفاعى عن من يخالفنى لا يعنى بالطبع أن أكون معه على نفس المنهج ..الأخ عمار يقول لى : اترضى زوجة غير محجبة!

وأنا والله لا أقبلها أبدا ..ليس معنى اننى أتعامل مع من هو على معصية أننى اقبلها ..أوف ..يبدوا أننى أحارب طواحين الهواء..

قال براء : اخشى شيئا والله ..أخشى أن نظل هكذا حتى ينكسر السد ..وإذا انكسر السد لن يعبر الماء كالمعتاد ..بل سيغرقنا الطوفان ..ومن تراه اليوم يجادلك لأيام على حكم شرعى واحد ..ستجده غدا لا صورة له ..لا تستطيع أن تمسك بيدك على مظهر التزام واحد منه ..سيصبح الأمر مائعا بلا طعم ولا رائحة..

قال انس : سنوات قلائل فحسب ..أقل من عدد أصابعى هذا وسترى ما قلت ..المهم ..ثمة موقع أريدك ان تراه ..موقع بالإنجليزية تعجبنى مقالات صاحبه ..ممتعه ..وتحمل حسا قريبا من النفس..

اسمه الجبال تهمس.. كتب له الموقع سريعا على ورقة وقال : استمتع بالكتابة ..

قال براء : متى ستذهب لوالدك ؟؟ ربما آتى معك..

قال انس : وادى النطرون ..لقد ارتقيت مرتقى صعبا يارويعى الغنم ..حسنا ..سأذهب بعد أيام..

فى المساء فتح الموقع على عجالة ..كان بسيط التصميم ..أسود بخطوط خضراء..

كان المقال الأخير للتو قد نزل ..منذ ساعة تقريبا..

"عندما قام امريكي اسود (مارتن لوثر كينج) في الستينات وأعلن أن لديه حلما بالحياة الكريمة بدون عنصرية واضطهاد ، صفق له العلمانيون والعالم كله

وقالوا .. هذا انسان وكل انسان له حق الحياة بدون إذلال وإهانة للكرامة الانسانية..

لكن عندما أكون مسلما وأعلن أن لدي حلما بأن أصحو يوما وأجد المسجد الأقصى بأيدي المسلمين يسمى هذا الحلم تخلفا ويقال عني إني أرهابي وأني متخلف وجاهل وأوصف بكل الأوصاف البشعة..

وكأن المسلمين ليسوا بشرا وليسوا من جنس الانسان بل هم إما شياطين أو حيوانات لا حق لهم بالأحلام .. بل حتى الحيوانات تجد من يدافع عنها في هذا العالم.

أي حقد يملأ أجواف هؤلاء الناس ، لدرجة أن حقدهم يجعلهم يحولون (الأماني) إلى أخبار .. فتنشر بعض صحفهم بالخط العريض (القوات الأمريكية تطارد طالبان وبن لادن في أفغانستان) .. وهم يعلمون جيدا أن الامريكان أجبن من القيام بهذه المهمة وأنهم وكلوا بها أتباعهم من منافقين وغيرهم . هذا طبعا لو كان أولئك الاتباع يحملون تلك الشجاعة"..

عند ما حل الصباح كان حمزة حينها فى الجبل ..لتوه قد ترجل من السيارة..

سلم على الحراس..

رأى حمزة ابن العاشرة أمامه ..ابن أبى محمد ..ربت على كتفه وقال:

حمزة ..أعد على تلك الأبيات التى قلتها المرة الماضية ..ابتسم حمزة ورفع رأسه

وهو يقول:

كابول ترفع رأسها رغم الخصاصة والخطر

كابول يبسم ثغرها تؤى وتنصر من حضر

الشيخ يونس قد أوى ليثا يهاب إذا زأر

وأخو البطولة والإباء أميرنا الملا عمر

قبل رأس حمزة ودخل إلى أبى محمد ..قبل رأسه كما اعتاد ..قبل رأس أبا اسامة

أيضا ..وجلس ..كان المجلس به قرابة العشرة رجال ..كلهم تجاوزوا الأربعين

..من الأفغان والمجاهدين العرب..

قال أبا محمد : وجدنا من قتل أبا البراء ..هذا ثأرك الآن..

هز رأسه وقال : عفا الله عنه ..نظر نظرة سريعة إلى أبى اسامة الذى هز رأسه بالنفى..

قال : لاأقتله ..افعلوا به ماتشاون ..ثمة أشياء اخرى يقتل عليها ..خيانته للمسلمين مثلا ..قال أبو محمد مبتسما : كما قلت منذ قليل ..لن يفعلها حمزة..

استأذن بخلو معسكره من القادة إلا قليلا وخرج..

كان شاهدا على الخلاف العاصف بين عصام وبين الرجلين ..منذ عامين ..كان عصام يريد الذهاب إلى قندهار التى كانت تحترق حينها ..يومها قال له أبو محمد : دمك غال يا عصام ..أغلى مما تتصور ..كتاباتك ودراساتك تجد طريقا فى العالم ..ليست كمثلنا..

قال عصام : وخلاصى أنا ؟؟ أنا أريده ..أريد الشهادة ..فى أرض بها حرب حقيقية ..لا بقذيفة تاتى من السماء لم أتجهز لها.. قال أبو أسامة : عصام ..لا تجعل الأمر هكذا ..لك أجر الشهداء يا أخى...

ألقى عصام بقلم كان فى يده وقال : هه ..لا نامت أعين الجبناء ..أترضى بأجورهم أنت ؟؟ أنا أريد اجرى وأجورهم ..والدماء التى نزفت من قبل ..إن كنت تذكرها مازالت تحيط بعنقى ..ستخنقنى إن ارتضيت نهاية غير نهايتها..

قال عمر الذى كان دائم الصمت لا يتحدث إلا قليلا ..اتركه يا أبا محمد ..عصام لن يقعد هذه المرة..

قال أبو أسامة : وابنتك ..لمن تتركها ؟؟

ابتسم عصام وقال : رأيتك أكبر من هذا ذات مرة ..ابنتى أتركها لربى ..لن يخذلنى فيها ..بصدق أنا أتعجب ..الشيطان يع الكلام على لسانك..

رد : لا...لا والله ما قصدت هذا ..أردت فقط ان اجعلك تفكر ...نحن نتغير يا عصام ..لكن كتبك تحمل نورا بداخلها ..تحمل روحا صادقة تصل ولو لم تسود حرفا واحدا..

ابتسم وقال : يعدكم ويمنيكم.. وذهب إلى قندهار بالفعل..

توقفت أفكاره عندما رأى سيرين تجلس على أحد الصخور وهى تبكى ..جلس امامها على ركبتيه وهو يقول : ماذا حدث؟

قالت : مروان ..ذاك الأحمق الصغير .. قال لى أننى غبية..

ضحك وقال : لا...لا يجرؤ ..أنت أذكى فتاة على وجه الأرض ..ابتسم فى صمت وهو يفكر أن من المفارقة العجيبة فى الدنيا أن تكون ابنة عصام هكذا ..هشة كأرق زجاج ..رقيقة كطيف ..تجرحها النسمة كما يقال ..قبل رأسها وقال : هيا قومى ..سنذهب إلى جدك ..أريدك جاهزة بعد ساعة ..الطريق طويل ومتعب..

سلوان ...سلواااااااان ..ردى على إذا سمحت ..التفتت إلى آمنة وقالت : نعم..

قالت آمنة : سأذهب إلى ابى بعد أيام..ما رأيك لو أتيت معى ..سأذهب أنا وامى ..التفتت وقالت : وادى النطرون ..اللهم لا ..لا اريد الذهاب إليه..

قالت آمنة : ولم ؟؟

تنهدت وقالت : يذكرنى بعمى أحمد رحمه الله ..لا احب تلك الذكريات..

قالت آمنة : عمك أحمد قضى هناك عشرة اعوام ..لا سبعة عشر عاما ..من الذى يحمل ذكريات أسوأ ..أنا أم أنت..

ابتسمت سلوان وقالت سأستأذن أبى وإن كان الرفض سيكون ب٩٠ فى المائة ..ابتسمت آمنة وقالت : لدينا عشرة كاملة ..هيا ابتسمى ..مابك ؟!

قالت : لاأدرى ..أفكر فى نفسى ..أريد أن أتغير قليلا ..أن اجرب نفسى فى مسار جديد .. لم يعد لما أفعله معنى ..أذهب للمسجد ..القرآن ..أخيرا الأسرة ..غير هذا لا شئ ..لا اجد دافعا يا آمنة ..وجدت نفسى هكذا ..تربيت هكذا .. لم افكر يوما لم أفعل هذا ..هل احبه أم لا؟ هل أتقرب إلى الله أصلا به أم لا..

تعبت ..كل شئ يغدوا بالنسبة لى ضبابيا ..هل انا على طريق الله أم لا ..هل هذا هو الطريق أم لا..صرت لا أدرى ..تدهورت حالتى فى يومين فحسب..

قالت آمنة : الحمد لله ..الحمد لله ..لهذا إذن رأيتك مع الأخت عائشة ..ستصبحين سلفية ؟؟

ابتسمت وقالت : ربما..

ضحكت آمنة وقالت : تلك عقيدة ياحمقاء ..عقيدة ..لا قرار يتخذ فنمشى طبقا له ..تلك فكرة نحيا لأجلها ..أنا أحيا لفكرة ..وأنت ..الله أعلم ربما مازلت تحيين لفكرة أخرى أم لا..نحن مجموع أفكار المجتمع الإسلامى ..بصراحة استغربك..

قالت : ولم لا؟؟ لم لاأتخذ قرارا بمنهج امشى عليه ..مللت من نفسى..

مسحت وجهها من تحت النقاب وقالت : سلوان ..حرت فيك..

فى طريق عودتها إلى المنزل فتحت حقيبتها لتخرج منديلا ..وجدت حلوى ملفوفة بورقة كتب عليها : بحلم لو عاد الإسلام يحكم من تانى ..افعلى ماتشاءين بأفكارك ..لكن اجعلى هذا ضابطها ..دولة مسلمة ..آمنة..

بعد الفجر جلست مع والدها ..أخبرته بأمر آمنة ..قال : لعلك لا تودين الذهاب حقا..

قالت : كرهته يا أبى ..ابتسم وقال : لكنك ترين اليقين فى وجوه البشر هناك ..أراك تتخبطين بين الأفكار هذه الأيام ..اذهبى ..لعلك تجدين اليقين..

فى صباح اليوم الذى اعتزمت فيه الذهاب مع آمنة كانت ترتب كتبها على الطاولة..

وجدت "رسالة إلى شهيد " ترنيمة الحب الأولى فى تاريخ الصحوة الإسلامية ..أمينة وكمال ..فكرت عندها كم لجدران السجن من ذكريات لقلوب البشر ..للقلوب التى أحبت ..وربما افترقت ..لنبضها ودفئها..

رددت بينها وبين نفسها ..ربما ..ربما يأتى اليقين..

فى الطريق كان براء يقول لأنس : ألا تفكر أبدا ماذا سيفعل والدك إذا خرج ؟؟

ابتسم وقال : سيفعل اشياء كثيرة ..له مراجعات وأبحاث كتبها ..ورسالة الدكتوراه فى الشريعه ..لا ..والدى لا يقف أبدا ..سينشر هذه الأبحاث ..سيعود للدعوة ..لو تعرف يابراء ..والدى يعرف انه سيخرج ..لن يموت فى السجن كما قال له الحراس ..يعرف ماذا يريد.. ربما الخلوة أورثته صفاء روحيا لا مثيل له ولا نظير ..ربما..

قال براء : أحب أن أرى هؤلاء ..أولئك الذين لم يطمسهم ما حدث فى سبتمبر ..بقيت احلامه حقا مشروعا..

قال انس : قرأت مقال الرجل إذن ..الأحلام المشروعه..

قال براء : اسمه حمزة ؟ تقريبا ..قال أنس : نعم ..اسمه حمزة ...لغته عذبة ..بسيطة ..كانه يعرف العربية ..تراكيبه كانها تعرف العربية..

قال براء :كلما ذكرت اسم حمزة تذكرت الصغير..

ضحك انس وهو يقلد الطفل فى براءته وصموده فى ذات الوقت : كابول ترفع رأسها رغم الخصاصة والخطر..

أفكر فيما فعلته طالبان ..فى مجلس العلماء الذى اجتمع ليناقش هل يسلم بن لادن أم لا..وهو يعرف ثمن عدم التسليم جيدا ..حرب ..لن تميز احدا..

طالبان علمتنا شرف العرب القدماء ..أعادت ذكريات ذى قار وأيام العرب ..لكن بلغة فارسية هذه المرة..

تنهد براء وقال : لاتذكرنى ..كلما تذكرت حرب أفغانستان ..تذكرت العراق ..وقد سلمها أبناؤها ..وإخوتها ..كأنهم تنكروا للخليل بن احمد ! لشرف اللغة ..دعك من الدين ..شرف اللغة..

قال انس : الشرف هنا ..فى القلب يا براء ..فى العقيدة ..فى الإيمان ..فى الثبات ..أما هذا العهر ..فلا لغة له..

تنهد : احس بالعجز ..بأننى مكبل تماما إذا تذكرت ما يحدث ..لو أردت ان تعمل فى المجتمع المدنى فحسب ستطرق قلبك طرقا دماؤنا التى تسيل.. وإن أردت الأخرى ..فدونها سدود ..أنا اضعف من أن أكسرها ..ربما الفكرة غير مطروحة اصلا ..فهناك من يؤدى فرض الكفاية عنى ..تعلم ولو ان الأمر بعيد

عنى لا يمسنى إلا أن مراجعات الجهاد نقرت قلبى نقرا .. لم يتراجع إن كان يؤمن بفكرته وهو فى كلا الحالتين سيدفع الثمن لا محالة..

تامله أنس وقال : لاتعلم شيئا إذن عن الأمر ..الجماعة يا براء تدفع ثمنا باهظا ..باهظا لا تتخيله..

عمتى تقول لى : من كان يصدق أن فلان وفلان ممن شهدت لهم الأمة بالخير وكانوا وكنا صاروا هكذا ..رجعوا عن ما أرادوا ..ولا تعلم عمتى أننى كنت اكتب الحواشى لعمى وهو يراجع مع من راجع ماكتب..

تطلع إليه براء : أنت ؟

اعتدل انس وقال : ليست كل المراجعات باطلا ..وما كلها حقا بطبيعة الحال ..لكن أفكار استحلال الدم تحتاج وقوفا مع النفس ..ماذا فعلنا بأنفسنا ..ولم سالت كل هذه الدماء ؟؟ تحتاج تفكيرا يابراء ..أبى لن يخرج من السجن ..على فرض ..ليس هذا ما يحركنى..

مايحركنى هو أن لاتسال دماء جديدة باسم المصحف ونسبتها لكتاب الله مرسلة ..سندها منقطع ..أو فيه وهن ..فهمتنى ؟ ليقولوا ماشاؤوا ..ليقل عمار أننى متهاون ..ولتقل عمتى أننى مخذول ..وليقل من قال أننا كتبناها للأمن ومداهنة للطاغوت

لكنه دينى ..دينى الذى القى الله به ..ولن يقف احد معى لأحاسب يوم الحساب..

سأرسلها لك عندما نعود ..اقرأها واخبرنى ..مارأيك.. لما طال صمت براء قال أنس :

هل قرات هذه : أكرهها ..واشتهى وصلها ..وإننى أحب كرهى لها..

أحب هذا اللؤم فى عينها ..وزورها إن زورت قولها..

ابتسم وقال : نزار ! لا موضع له هنا ..قال أنس : لا ..موضعه هنا ..إذا زاد الغم ..أنت الذى قلت تريد زيارة ابى وانت الذى اوصلت الحديث لهذه النقطة

..فهون عليك ..لقد سقتنى الدنيا مرار حنظلها ..ولكن ها أنا ..الحمد لله إن أصابتنى الضراء الحمد لله وإن أصابتنى السراء الحمد لله..

قال براء : بمناسبة السراء ..كانك ستعيد العهد اليوم ..عهد المؤمنين..

ابتسم وهو يطرق برأسه : لا ..لا اظن..

قال براء : كانك تعزى نفسك لتسر إذا فقد سبب العزاء ..ضحك وقال : تعليل نفس فحسب..

فى الزيارة وعندما رأى تغير وجه أنس عرف أنه رآها ..فقبض على يديه وقال : نذهب لوالدك اولا..

كان والد انس عجيبا بحق ..لحيته سوداء تماما لا يخالطها شيب ..عيناه لم تنكسر ولم تنطفئ ..به شبه كبير بأنس ..سلم على براء بود بالغ وهو يقول : لم أر أنس يشغل باله بأحد من قبل مثلك...

قال أنس : قليلا قليلا ..هو به غرور والعياذ بالله ..سيخسف به الأرض ..فى الخير طبعا ..فلا تزده يا أبى..

قال والده : دعك منه ..لقد قال الشافعى : همتى همة الملوك ونفسى ..نفس حر ترى المذلة كفرا..

لكن العيش فى زمن الأرانب يجعل الذئاب نوعا نادرا ومكروها ..لنه يبرز ضعف الأرانب..

قال أنس : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ..متى اكتب عقد التبنى يا ابى ..هذا زمن لايحكم بشرع الله!

قال والده : أنت النص وكل ما سواك هامش..

جلس معه قليلا وارتاى ان يتركه مع أنس ..فقد نال ما أراد ..نال ثواب تصبير المجاهد وتثبيته ..ونال النظر فى وجوه الصالحين.. وقف بعيد ا وترنم بينه وبين نفسه فى همس : ياجنود الله صبرا ..إن بعد العسر يسرا

لا تظنوا السجن قهرا ...رب سجن قاد نصرا..

وراى سلوان أمامه مباشرة وهى تقول : ماشاء الله ...أى ريح طيبة اتت بك هنا ؟

ضحك وقال : نفس الريح التى اتت بك هنا ..قالت : خجلت من نفسى ..خجلت جدا ..إوالدها ينسج الصبر نسجا ..وانا تشغلنى تلك التوافه..

قال : ربما هذه لحظات قليلة من الاعتراف بالنقص التى تمرين بها الان ..لحظات تاريخية..

قالت : تعرف ..أنا أعترف ..ربما هذا افضل ممن يظن نفسه رب السيف والقلم والمسطرة أيضا..

أدار وجهه ثم التفت وقال :كما تشائين ..أعطنى هدنة قليلا ..ظننت أننا تهادننا يوم الجمعه ..يوم كربلاء ..قالت : حسنا ..لعلك تحاسب نفسك وأنا لاأدرى..

ابتسم وقال : رائع ..كيف حال العائلة ؟ قالت : بخير الحمد لله ..صحيح نسيت ..اسأل لى خالد زوج بثينة عن دروس النساء وعن المشايخ..تعرف بثينة لا صلة لها كبيرة بالأمر ..ولا ترحب بالفكرة اساسا..

قال فى دهشة : ستغيرين المنهج ؟؟

قالت : ولم لا؟ ولم لاأقرر قرارا وأسير عليه..

قال : الثياب الطويلة لا تناسبك ..هزت رأسها فى دهشة وقالت : ماذا ؟؟

قال : إنها ليست موضة ثياب تقررين تغييرها يا فاضلة ..تلك عقيدة ..وهذا منهج ..لا طريقة حياة كالميكروبيوتيك ..فهمتينى بالطبع ..ليست صرعة حقائب أو احذية ..وتفكيرك بهذا الشكل يجعلها هكذا..

قالت : إذن ماذا أفعل..

قال : إكراما لنها المرة الوحيدة التى أقررت فيها بالجهل وعدم المعرفة ..عودى من جديد للمنابع ..اقرأى الظلال ..وكتب الحديث ..اقراى المعالم ..المنطلق ..تدارسيها ..سيصبح الأمر اوضح بكثير..

عندما غادر هو وانس قال أنس : من هذه ؟؟ التى وقفت معها..

قال : ابنة عمتى ..جاءت مع صاحبتك..

قال : أأقول لك شيئا ولا تغضب .. لم ار فى حياتى اثنين يتشابهان إلى هذا الحد ..ليس الشكل ..لكن ال ... ماذا اقول ..ال هالة التى تحيط بهما ..ثمة شبه غريب بينكما ..شبه روح..

ابتسم براء وقال : لن أفهم تلميحك السخيف ..الذى اصر على وصفه بالسخف ..لأمر بسيط جدا ..أننا متشابهان نعم ..ومتوازيان أيضا ..لا نتقاطع ابدا ..ولا ننكسر..

ألقى أنس بالجريدة من يده وقال : دروس المنطق الرياضى هذه لا تفعل شيئا ..على الأقل بالنسبة لى..

أنا قلت رايا ..اقبله ..ارفضه كما فعلت ..سخفه كما تفعل ،،هذا رأيي...

"يافرحتى بمنيتى ...اليوم أنهى غربتى"

"ولقائنا بمليكنا ...ومحمد والصحبة"

كان أنس يترنم بها فى الطريق فقال له براء : أظن كل الناس فى غربة إلا أنت ..تفاجئنى بمعرفتك بطرق الدنيا الخلفية ..كان يبتسم وهو يقولها.. رد أنس :

غربة ...تلك كلمة تهون جنب ما ألاقى يا براء ..قل لى أنت أولا ..أتحس بالغربة ؟

ابتسم وقال : فى الغالب لا ..كانت مدرستى إسلامية حتى السادس الابتدائى ..ثم الست سنوات التى قضيتها فى مكة حتى الجامعة ..كان الوسط ملتزما ..لكن ..وصمت..

قال أنس : فى لحظة ما ..وعندما تعاظمت هيبة الإسلام والدعوة فى قلبك اغتربت..

تنهد وقال : ليس هكذا ..كانت فترة قصيرة تلك التى شعرت أن الدنيا تضيق بى ..لا أريدها ..تخنقنى ..عندها عقدت العزم أن أجعلها هى الغريبة ..ولم افكر إلى الآن هل نجحت ام لا..

قال أنس : أما أنا فقد اغتربت كثيييييرا جدا ..نحن لدينا فى الجماعة أدبيات تربية وأشياء كهذه ..لكن عمى حفظه الله كان حريصا جدا أن يجعلنى أرى الدنيا من منظور الاخرين ..لا منطقنا فحسب ..خاصة من لهم ماض

ومستقبل وتاريخ "مشرف.. " ومن هنا جاءت الغربة ..لما قررت ان ألتزم بمنظورى الشخصى للإسلام ..منذ أربع سنوات تقريبا ..وأنا الغربة تمزقنى ..إحساس البعيد الغريب مر .ووالله ما قلتها لأحد أبدا..

كلما ضاقت عليا الدنية تعزيت بيوم سألقى فيه الأحبة ..عندها لن أكون غريبا ..سأكون أنا ..سأحمل من اسمى نصيبا لنفسى للمرة الأولى "أنس.. "

ربت براء على كتفه وقال : ستلقاه ..فى الدنيا قبل الآخرة...

قبل أنس رأسه وقال : وقد لقيته معك..

كانت الفترة التى تلت هذا العام أقسى من الفترات السابقة على براء...

استشهد الرنتيسى ..وبدا ان الحركة الإسلامية تدخل منحنى جديدا وعرا ..علاقته بأنس صارت أقرب كثيرا جدا..

كانت الأجواء فى العالم الإسلامى تشهد تحولات عجيبة.. انتقال أعمال القاعدة غلى الدول العربية ..مشكلة القاعدة أنها حركة تعمل بنظام الفرانشايز للأسف ..فهى ليست حركة مؤسسية كما قد يتخيل البعض..

ليست كتنظيم الإخوان المسلمين مثلا ..بل هى فكرة تنتقل فحسب ..يكفى أن يتجمع أربعة أو خمسة من الشباب الذين يحملون فى عروقهم هما إسلاميا حارا حقيقيا ..وبالإستعانة بالشيخ "جوجل " والمراجع العظام "رابيد شير " و"ميجا آبلود " وينتهى الأمر..

يلزم لإنشاء التنظيم زجاجتى مولوتوف تلفى على دبابة للجيش أو الشرطة ..وصفحة واحدة من تنظيرات الشيخ أبى القعقاع الجنوبى أو الشمالى حسب المنطقة التى ينتمى إليها ..وجهاز كمبيوتر واتصال انترنت ..وكاميرا جوال بالطبع لتصوير البيان الأول ..وشماغ أكيد..

المشكلة التى لا يفهمها الكثيرون ولا يوجد لها حتى الآن تنظير حقيقى صادق ومخلص ..من قلب محب للجهاد لا من قلب يكرهه ..ومن عقل يفهم أن هؤلاء عقلاء وليسو خونة أو مغرر بهم كما تروج اكاذيب إعلام الطواغيت..

لماذا لا تعلن القاعدة خطة سيرها واضحة جليه ..نحن فعلنا كذا لسبب كذا ..نحن تبنينا أولئك الشباب للأسباب الاتية ..ويتمنى الكثيرون عليهم أن لا يتدخل ابن تيمية للحديث وحيدا هذه المرة...

لماذا لا تدفع القاعدة الخبث عن نفسها وأصلها الطاهر.. لا أحد يعلم!!

تدهور الوضع فى أفغانستان أكثر ..قررت الحركة طبع رسائل عصام ونشرها بشكل أكبر من السابق ...وقد كان..

حالة العراق بدا أنها تتوغل فى أنهار الدم ..أكثر مما سبق بكثير ..انتقل على إثرها مهدى إلى مشهد حيث عائلة والدته ..ولم يبد عليه أنه وجد استقرارا نفسيا هناك بأى شكل..

كانت السنة الأخيرة له فى الجامعه.. تخرج أنس قبله بعام ..هاتفه ذات مساء على غير العادة..

سأعقد قرانى هذا الأسبوع ..ضحك براء وهو يقول : معذرة ..ثمة شئ فاتنى هنا ..متى خطبت ياسيدى ؟؟

قال أنس : لم يرض أبى بالخطبة ...قال أن البيت خال إلا من خالتى وهى ..وسيكون الأمر صعبا ووو ...وبصراحة راقت لى مبرراته.. ضحك بشدة هذه المرة وقال : والبعض يأتيه الماء باردا مبردا ...لكن ألا تفكر فى المسافة التى ستقطعها لتجد الماء ..ثلاث ساعات.. قال انس : أيها الأحمق ..انتظرت تسع سنوات تقريبا ..ألا أنتظر ٣ ساعات..

ضحك مرة أخرى وقال : وقبل رمضان بأسبوع واحد ...ستعتكف فى الإسكندرية هذا العام ؟

كشر أنس عندها وهو يقول : المهم أن أنتهى من هذا الانتظار المثقل..

عندما انتهى من المحادثة سأله والده : مابك ؟ تبدو سعيدا للغاية..

وضع الهاتف وجلس على كرسيه وهو يقول : أنس ..سيعقد يوم الخميس بإذن الله..

قالت والدته : انس من ؟؟

قال : معك حق ..أنس لم يخطب أصلا ..ظروف عائلة العروس متشابكة قليلا كظروف عائلته ..ولهذا سيعقد مباشرة أيضا

قالت والدته : لكن ألا ترى يا أيها السعيد خطأ الأمر ..على الأقل يعرفها ..الملامح الأساسية لشخصيتها..

ضحك وقال : امى ...أنس يريدها منذ تسع سنوات تقريبا ..مذ كان فى الرابعة عشر ..وفى هذه الحالة ..أكمل والده ضاحكا : لم نر للمتحابين مثل الزواج..

قالت والدته : العقبى لك ..بامرأة تحدث "مث " فى حياتك ..لتقرر أن تعقد مباشرة بلا انتظار..

ابتسم فى ود وقال : الشرط أن أحدث انا هذه الفوضى اولا..

قالت والدته وهى تلتفت لأبيه : محمود ..لاحظ نبرة الصوت الهادئة النقية ..صحيح انه لم يتخلص من غروره بعد ..لكنه يتحدث بهدوء..

أشاح بوجهه وقال : الله المستعان يا أمى ..علا صوتى ..انخفض صوتى ..لن اصل ابدا لحالة الرضا التام التى ترضينها على بثينة دائما..

فتح والده ذراعه له وقال : قلت لك من البداية ..الابن سر أبيه ..والابنة سر أبيها..

قالت والدته : والأم سر الأب والابن معا ..لديك اعتراض يا محمود ؟؟

قال : معاذ الله ..منال تاج رأسى..

قام براء من مقعده وهو على باب غرفته قال : أبى ..ضربة موفقة..

فتح هاتفه..

كتب رسالة سريعة.. السلام عليكم ..كيف حالك أستاذتى..

أحببت أن اهنئك أولا قبل كل أحد..

شهر مبارك ..على طاعة وبر وإحسان..

انتظر لدقائق ورن هاتفه ..كانت سيرين..

اخذت علاقته بها منحى آخر منذ مدة طويلة ..كان يفطر معها أول اثنين من كل شهر ..يراها أهل ود عمه..

أما سيرين فقد رأت فيه ولدا لم ترزق به..

فى المرة الماضية كان يقول لها على عجالة : تظنين أن لجامعه سيستقر أمرها بهذا الوضع المنكر ..مناهج توقفت عن العمل ..مناهج من عصر الفحم تقريبا ..

ضحكت وقالت : سأقول لك شيئا ..أنا أؤمن به بغض النظر عما قد يراه أحد من كون الأمر تطرفا فى نظرية المؤامرة ..تتخيل أننا إلى الآن مازلنا نعمل بنظرية إطارات دنلوب..

هز رأسه فى تساؤل : كيف..

قالت ..ثمة محاضرة قديمة لا أذكر اسمها ..عصام رحمه الله أهدانى إياها منذ ...عصر البخار تقريبا بناء على ترتيبك الزمنى للوقت..

كان المحاضر يتحدث على الطريقة التى وضعت بها الأسس التى تحكم عملية التعليم إلى الآن ..إلى الآن يا براء ..أن تجعل العقول كلها إطارات فكرية بشكل واحد ..دنلوب آفة التعليم الإنجليزية الأولى فى مصر..

طريقة أننا نصنع جيلا لا ينتمى إلى شئ ..لا إلى دين ولا إلى أخلاق ..ولا حتى إلى نهضة حقيقية..

فى الوقت الذى كان العلم التجريبى يجتاح العالم كان الشباب يغرقون بكم النقاشات الفكرية الحلزونية التى لا تؤدى إلى شئ ..هز الثوابت ونزع القيم ..إتلاف المبدأ وجعله عادة ..إرث حضارى ..لاحظ ان هذه الكلمة أنيقة جدا..

إرث حضارى ..عندما تسمع احدا يتحدث عنها تشعر بمدى التحضر وو ..لكن فى الواقع هى تصنع بك شيئا من الداخل ..تعبث بمصطلحاتك الداخلية المعرفية ..إن هذا الأمر مهما كان شريفا ونبيلا هو إرث ..قديم ..بالى ..لو حافظت عليه سأحافظ عليه لأنه إرث ..وليس لأنه مبدأ يستحق أن أفكر به وأعتنقه أيضا..

ابتعدت بك عن النقطة الرئيسية.. لن تجد منهجا تجريبيا حقيقيا مادام العاملون عليه وعلى سياسة التعليم ككل من إطارات دنلوب أو إطارات إطارات دنلوب...نقطة فى آخر السطر.. قال مبهوتا : أبدا لم أفكر هكذا..

قالت : لاتدع نظرية المؤامرة تعوقك تماما عن العمل ..لكن لا تنكرها ..تذكر قول الله تبارك وتعالى " ويمكرون ويمكر الله " هذه هى السنة الإلهية فى الأمر ..عدلت حجابها ثم قالت : قراءة التاريخ تفيد..

تحجبت منذ أشهر قليلة ..قالت له يومها : لعله فى موازينك ..كنت تتحدث عن بقائنا أسرى لأفكارنا السابقة ..وعن أهمية العبودية كمحرك أول لتغيير قناعاتنا وأفكارنا ..وجدتنى أفكر فيما قلت ..وكانت هذه النتيجة فحسب..

تنهدت : لعله يرتاح الآن أكثر..

يوم عقد أنس كان قد امضى الليلة فى بيت بثينة ..فى الصباح كان خالد يقول له : لكن أنس صاحبك هذا على خير ..نحسبه على خير بالفعل.. قال : أعلم هذا ..لكن لم ؟؟

قال خالد : الشيخ عمران عبد الكريم ..احتلت عليه أيام العقد ..تذكرين يا بثينة ..احتلت عليه كى ياتى فقط ..يأتى إلى العقد ليدعولى ورفض بأن بقلبه أحزان لا تنطفئ..

وهو الذى سيعقد لصاحبك كما تقول..

قال براء فى هدوء : إنها حفيدته التى ستتزوج ..ابنة ابنته ..لعلها بداية أفراح لا تنقطع ..أنت تعلم أنهم أسرة مبتلاة ..مبتلاة إلى أقصى ما نتخيل.. دمعت عينا خالد وقال : يارب أفراحا لاتنقطع لهم وللمسلمين..

قبيل العقد بقليل كان أنس يميل إلى أذنه وهو يترنم : يافرحتى بمنيتى ..اليوم انهى غربتى..

قال براء : أبدا لم أقلها فى حياتى لأحد ..قبحك الله ..هذا كلام تردده يوم عرسك ..ابتسم أنس وقال : كل يغنى على ليلاه ..بين المنية والمنى نتقلب ..بعد العقد قبل رأس أنس ووقف بعيدا ..كان يراه من بعيد يتقبل تهانى من حوله ..وبعينيه لمعة لا يخطئها أحد .. خرج من المسجد ودار حوله من الخلف .. لم يكن ثمة أحد هناك..

جلس على الرصيف المرتفع قليلا على غير العادة عن الأرض..

أرسل له: قد صار عهد المؤمنين مختوما بالعروة الوثقى السماوية ..بارك الله لك ..

كان الجوباردا قليلا ..برد بداية الخريف ..طوى ذراعيه وسكينة تغمره بشكل لا يصدق ..يعرف الان أن هناك قلب واحد على الأقل يضطرب خفقانه فرحا ..قلبان على الأقل للدقة ..قلب أنس وآمنة ..وهذا يكفيه ليسكن..

أحس بأحد يجلس إلى جواره ..وبدون أن يلتفت قال : تعرفين ..توقعت أن تخرجين باكرا من العرس أيضا..

قالت : المهم أننى أراها سعيدة هكذا ..كاف تماما بالنسبة لى ..غير هذا فأنا لا أتحمل البقاء فى الزحام ..لم أبقى ..للنساء ونظراتهن.. شربت من زجاجة الماء بيده ..مدت يدها المفتوحة إليه بالحلوى وهى تقول : حلوى..

قال فى غيظ : سلوان ..مازلت ترتدين النقاب على شرطك ؟؟

قالت : وما المشكلة ؟؟ أنت تعرفنى ..والبقية يجاوزون الخمسين الان..

قال : نحن فى الشارع إن عدمت الرؤية ...رؤية البصيرة بالطبع..

قالت : لا أحد هنا ..هل ستغادر اليوم ؟؟

قال : نعم سأغادر اليوم ..قالت : أبلغ خالتى سلامى إذن ..وخالى بالطبع..

قال : نعم الحمد لله ..تذكرت خالك أخيرا ..جيد ..يبدو أن الزهايمر لم يزحف على بقايا معلوماتك إلى الآن ..تناول الحلوى منها وهو يقول : ماذا تصنعين هذه الأيام ؟؟

صمتت قليلا للحظات.. قالت : أوشكت على أخذ الإجازة من الشيخ ..لى درس تجويد ثابت هنا أيضا ..فى المسجد ..إن كنت تسأل عن الجامعة فجيدة ..لا بأس بها ..أتعزى بأننى سأنعتق منها العام القادم..

ابتسم فى صدق وقال : لا عليك ..ما الكتاب الذى أنهيته هذا الصباح ؟؟

قالت : نعم ..ستخبرنى فى كبر بأنك انهيت اليوم قراءة الكامل فى التاريخ ..لا بأس ..أما أنا فأنهيت " حب وكبرياء.. "

ضحك وقال : تعرفين متى قرأتها ..منذ ..لا أتذكر جيدا..

قالت : ماذا الآن ..الزهايمر يزحف ؟؟

قال : لالا ..منذ ٤ أعوام ..مع عدم حبى لهذا النوع من القراءة إلا أن أسلوب جين أوستن مدهش ..ففى الوقت الذى كانت الحرب فيه تدق طبولها ..كانت جين اوستن ترسم العالم الخاص بطبقتها حينها ..عالم يعيش بين برك الماء والغابات ورحلات الصيد ..والفتيات الرقيقات ال غبيات ..معذرة ..عالم مختلف..

الرواية جميلة بالفعل ..لكنها ليست أفضل ما كتبت ..رغم أنها الأشهر..

قالت : دعنى أصارحك بشئ ما ..من المفترض أننى من يلقى عليك هذه المحاضرة المتعلقة بالأدب الإنجليزى ..هذا يثبت عدم جدوى دراستى من جديد ..

ضحك ولم يعلق ..ثم تطلع إلى ساعته وقال : سأعود لأهنئ أنس ..وقد أمر على عمتى قبل أن أغادر ..بالكاد سأصل العشاء..

قالت : أراك إذن..

فى طريق عودته أخرج هاتفه وكتب ملاحظة تقويم : هنيئا للعاشقين وصالا...

فى صباح السبت كانت آمنة تجلس بجوار سلوان وتقول : أمى تجلس كسدنة المعبد والعياذ بالله ..أليس هذا من تحريم ما أحل الله ؟؟ضحكت وقالت : ربما ..اصبرى فالطواغيت إلى زوال !

ما هذه الحماقة التى أنت فيها ..تخشى عليكما ...وهى الوحيدة التى تتحمل مسئوليتك الآن..

قالت آمنة : لكنك عاقلة على غير عادة ..ما الذى حدث ؟؟

ابتسمت : لا شئ ..أنا فقط متعبة قليلا..

قالت آمنة : انتظرى انتظرى قليلا ..لماذا خرجت يوم العقد من المسجد ..تقريبا نصف ساعة..

ضحكت وقالت : الله المستعان ..تركتك تسلمين على الناس وتتلقين التهانى منهم ..ما المشكلة ؟؟ قالت آمنة : لم تكن لتصبح مشكلة لو لم يقل أنس نفس الشئ عن صاحبه..

ضحكت هذه المرة ضحكا متواصلا وهى تقول : لا ..لا تقولى أنك تظنين بى ما ظننت ..لا إطلاقا ..على الإطلاق ..براء !! لا يمكننى أن أحب بين هلالين ذلك الحب ال...ال.. شخصا يشبهنى إلى الحد الذى أتنبأ معه ماذا سيفعل لأننى سأفعل مثله.. براء يا آمنة هو نظيرى ...ذاك الخط الموازى لى ..نتشابه ..لكن لا نلتقى ولا نتقاطع..

ابتسمت آمنة : حساباتك فاشلة ..فعلا أنت وهو كائنات لا تستحق الاهتمام..

ودخل رمضان...

فى أول ليالى الشهر كان جواد فى بيته للمرة الأولى من سنين...

قالت غادة وهى تصنع طعام السحور وهو جالس أمامها على طاولة المطبخ :

أتعلم أن هذه ليلة رمضان الأولى التى تمضيها معنا منذ سبع سنين..

ابتسم وقال : سبعة فقط ياغادة ..ظننته دهرا بأكمله...

تذكر شيئا فقام مسرعا وذهب إلى حجرته ..وبسرعة دق رقما معينا..

كان أحد المقاومين معه ممن يعمل تحت امرته مباشرة ..سلم عليه ثم قال :

رمضان كريم يا فؤاد ..بالله عليك تنهى لى أمر أبو عمر هذا بسرعة ..ثمة أمر

أريد التأكد منه ..إن استطعت أريد صورة الرجل ..صورة واضحة لوجهه

..فهمتنى ..أمامك إلى آخر الشهر ..فلا تتعجل.. وعده الرجل خيرا ..عاد

إلى المطبخ وقال : أوقظ لك الأبناء أم أنتظر بعد ؟؟

ابتسمت وقالت : أيقظهم.. بعد صلاة الفجر جلس إلى حاسبه ...كانت رسالة جديدة قد وصلت إليه من بريد مؤمن ..فاجأه لأن بريده الخاص لا يعرفه إلا قلة على الأصابع.

السلام عليكم.. كيف حالك يا أبا محسن ؟ لعلك بخير ..مبارك عليك الشهر ..

كنت أريد منك الإسراع بأمر إخراج سيرين من هنا ..إيران ثم مصر كما قلت لى فى المرة السابقة ..لقد أقنعتها أخيرا بالأمر

هاتف من بقى من أهلها فى مصر الذين تعرفهم كما أخبرنى والدها من قبل ..وانظر الأمر..

أعانك الله ورعاك.. حمزة روبنسون..

أطرق يفكر ..ما الذى يجعل حمزة يقول أن سيرين اقتنعت بالأمر على الرغم من أنه نفسه هو الذى لم يكن مقتنعا ..هو عندما رأها فى آخر مرة له منذ أشهر رأى أنها غريبة ..جدها توفى ..وبالتالى لم يبق لها أحد فى أفغانستان.. ما الذى يجعله يريد لها أن تعود ..إلى أرض ستكون بها أكثر غربة ؟؟

أخذ يفكر ى سرعه ..العمليات الجديدة فى الشيشان ..نوع العمليات العسكرية التى يتقنها جيدا ينتمى إلى رجل واحد ..عصام أو طلابه .وطلاب عصام لم يبق منهم إلا ثلاثة ..حمزة ونجيب وحمدى ..حمزة فى أفغانستان ..نجيب عاد العام الماضى إلى قريته على الحدود الأفغانية الإيرانية ..وحمدى فى كرماخاى فداغستان مع المجموعة التى خرجت إليها..

نقر نقرة سريعة على فيديو قد رآه منذ يومين فحسب ..ولم ينم منذ اليومين.. الفيديو لمجاهدى الأنصار فى الشيشان ..ثمة رجل يأتى فى الثانية الأخيرة ..لثانية واحدة فحسب ..عينيه زرقاوتين ..كعينى ذئب.. لا ..لكنه يعرف

تفاصيل مقتل عصام جيدا ..الشاهد الوحيد على مقتل عصام كان حمزة ..وسياف ؟ هل دفنه سياف وحمزة فحسب ؟ كيف ؟

رفع هاتفه الثابت.. أحمد ..أتعرف من دفن عصام الشرقاوى ؟؟ قال أحمد : نعم يا سيدى ..ثلاثة فحسب ممن كانوا معه ..ودفنوه فى أعلى قمة جبل هناك ..قيل يومها أنها وصيته ..لماذا تسأل يا سيدى..

قال : لا..لا شئ..

فتح درج مكتبه وتطلع إلى خاتم أزرق يرقد فيه ..أهداه عصام هذا الخاتم ..عليه نقش بالفارسيه الله ثقتى ..ابتسم وقال : لو كان كما أفكر ..فما خاب تفكيرى بك يوما يا عصام..

فى الجامعه كان براء يجلس مستندا إلى جدار الجامعه يتطلع إلى أحمد وهو يقول : عبد الكريم لا يراعى حرمة الشهر ..يقول بأننا سنرسب ..كلنا..

قال براء : دعك منه ..شنشنة نعرفها من أخزم ..سأراك اليوم فى التراويح ؟؟

ابتسم أحمد وقال : وعدتك أننى سأصلى معكم الأسبوع الثانى من رمضان كما قلت ..بالطبع سآتى ..ولكن بالله عليك تتذكر أن هناك سورة فى القرآن اسمها قل هو الله أحد :.. لا ..هذه كلمة عبد الرحمن الفرفور .. رمضان شهر واحد يا أحمد ..قل لى من يضمن أن نبقى لنشهده العام المقبل..

بعد التراويح كان يقف مع أنس على عجالة قبل أن يغادر ..كان أنس يخبره بشئ ما عن دروس المساجد القريبة ..فجأة قال براء وهو يتطلع إلى ماوراء أنس الواقف أمامه : أوف ..الله المستعان ..وفى ثوان أدرك أنس ما كان يتأفف منه وتعجب أيضا.. كان عمر ..صديق أنس وزميل براء ..سلم عليهما وقال لبراء : ما ذا عن أمر هاتف زوج عمتك ..المهندس عبد المنعم ..قلت لى أنك ستأتى لى به اليوم لأنك لاتحفظه..

ابتسم فى بساطة وقال : بالطبع ..هذا هو ..أملاه الرقم ..بعدها سلم عليهما عمر وغادر..

أول ماغادر قال أنس : لقد أمليته الرقم ناقصا ..ينقص رقما فى النهاية..

ابتسم براء فى خبث وقال : اتركه يكتشف الأمر ..قال أنس : وهل هذا سلوك المسلم ؟؟ لحظة واحدة ...لماذا يريد الرقم منك ؟؟

قال براء : ياسيدى كان فى عقدك ..حسنا ..ويبدوا أن الريح الطيبة ألقت بسلوان فى طريقه ..ولما عرف من هى .. لم يجد إلا أنا ليطلب منى رقم الهاتف على اعتبار أننى سأحاسب على أننى طريقه الذى أتى منه ..وبصراحة أنا لا أريد أن أكون طريقه.. سلوان لن ترضى به ..قلت أوفر عليها الزمن والمدة والنقاش ..أرأيت كم أنظر إلى المصالح والمقاصد الشرعية ..وفى النهاية لو كان نصيبها المقدر لها من عند رب العالمين سيكون ..كان الرقم خاطئا أم صحيحا ..

قال أنس : أنت كاذب..

ابتسم فى دهشة : ولماذا ؟؟

قال أنس : أنت تعرف لماذا ..فى تلك الطبقات العميقة ..المظلمة ..المهجورة من عقلك ..والتى أكره التقيب فيها تعرف تماما لماذا أنت كاذب..

رد براء : ستظل تقول وتنقب وتفلسف ..دعها سماوية تجرى على قدر ..لا تفسدنها برأى منك منقوص..

ابتسم أنس : فوضت أمرى لله فيك...

كان يقرا بقية ورده على عجالة قبل أن يذهب إلى الجامعه عندما قالت أمه : براء ..تعال باكرا حتى تحضر لى ماتبقى من الورقة التى اعطيتها لك بالأمس ..ورقة المشتريات..

قال : حسنا يا أمى ولكنك قلت أنك لن تحتاجين ماتبقى من أشياء ..أم ان هذا القول منسوخ ؟؟

قالت : نسخ بمكالمة عمتك بالأمس ..بعدما نمت كدجاجة يتيمة بعد التراويح ..سيأتون اليوم ..عمتك وزوجها وأبنائها ..ها ..اقتنعت بالنسخ ؟؟

أومأ برأسه : طيب ..حسنا ..سأحاول ..لكن السوق يا أمى فى رمضان يتعب سليم الأعصاب ..كأن الناس لا تأكل إلا فى رمضان..

تطلعت إليه : سأزاحم الناس أنا إذن ؟؟

قال : لاو الله ..كما تشائين..

قبل المغرب بدقائق قليلة هاتفه والده وقال : يا حبيبى المعتكف ..ما رأيك لو جئت لترى أهلك بالبيت ..صلة رحم يامولانا ..أم أنك ستفطر فى المسجد كأمس ؟؟

قال : لا يا أبى ..ثوان وآتيك..

فتحت له الباب سمية ..أخت سلوان الصغيرة ..فى العاشرة من عمرها ..قالت عندما رأته : أخيرا جئت ..نحن هنا منذ نصف ساعة ! ومدت نصف ساعة كأنها أتت منذ دهر كامل..

قال : معذرة ..كنت آتى من المسجد أمام البيت ..والطريق طوييييييييييييييييل ومزدحم جدا كما تعرفين..

عندما أذن المغرب وجد التمرة أمامه وسلوان تقول : هل ستفطر ؟؟

قال : وأعطيك ثوابى ..أبدا..

قالت : من يسمعك يقول سآخذ ثواب أبى مسلم الخولانى ..كأن نصفه لم يذهب فى لعن الجامعه والأمن..

قال : تلك عادة تركتها منذ رمضان الماضى ..وكل يرى الناس بعين طبعه ..عامة هاتى التمرة ..أقل ما سيأتيك هو ثواب أبى مسلم ..بإذن الله..

ابتسمت وقالت : أعلم هذا..

كانت ردة فعلها مختلفة ..لأول مرة يندهش مما قالته..

قبل العشاء بقليل كان على وشك النزول للصلاة ..كان يرتدى ساعته بعد الوضوء عندما قال والده : تنزل متأخرا اليوم ..ماذا حدث ؟؟

قال : لا شئ ..الشيخ أنس حفظه الله هو من سيصلى اليوم ..لذلك لن أجد الزحام المعتاد ..الشيخ "آية الكرسى " وجمهوره..

قال عمه : بعيد المسجد الذى ستصلى فيه عن هنا ؟؟

قال : لا..عشر دقائق فحسب ..أنا أصلى فيه لأجل أنس..

فى التراويح سأله أنس : متى ستذهب إلى د. سيرين ؟؟ قال : لن أذهب إليها ..سنفطر فى الحسين بإذن الله ..ستذهب معى بالطبع ..يوم الخميس بإذن الله

قال أنس : ستذهب إلى الحسين ..وتضحك كالمعتاد..

قال : لاوالله ...عاهدت نفسى أن لا أدخل إلى الضريح أبدا ..هذا لو دخلت ..يكفى ماحدث لى المرة الماضية ..تذكر ماحدث عندما ذهب هو وأنس إلى الحسين ..أخبره بما كان من مهدى وماحدث ..فضحك أنس بشكل لافت ..وكذا فعل هو ..فماكان من امرأة عجوز كانت جالسة تطلب "حوائجها :" إلا أن ضربته هو وأنس بشئ من حصير كان معها وهى تقول : من لايحترم أهل البيت لا يأتى إليه..

بعد التراويح غادر على عجل وهو يقول لأنس : لا أريد أن أكون الغائب الحاضر ..أريد أن أكون الحاضر الحاضر..

قال أنس : تقصد المغرور الحاضر ..أعانهم الله حقا..

قال : لا..أبى سيغضب منى حقا هذه المرة ..تأخرت عليهم فى الإفطار..

كان يداعب عمار توأم سمية ويسأله عن قرآنه ومدرسته عندما قال عمه :

صحيح يا براء ..ما أخبار عبد الكريم ..أستاذكم

ضحك وقال : أقسم بعزة رمضان أننا سنرسب ..كلنا سنرسب ..عامة نفكر

فى دفع الكفارة بدلا عنه ..لو اعتبرنا هذا يمينا.. قال عمه : يحكون عنه عندنا

فى الكلية ..تخيل..

قال : لقد أمر أمر بن أبى الأصفر ..هم يجعلون لوعوده هذه أهمية

باهتمامهم..هو يعدنا منذ دخلت الكلية ..كوعود الشيطان يعدهم ويمنيهم

..كان يحادث عمه ووالده عندما قال خالد ابن السادسة عشر : براء براء

..تذكر الأنشودة التى أسمعتنى إياها المرة الماضية ..راحل والشوق يهمى قبلا..

ترنم بصوت منخفض : راحل والشوق يهمى قبلا ...والدجى يرقب خطوى واجلا

فأنا النور الذى يغرقه ...وأنا الجرح الذى ما اندملا

قال والده : ارفع صوتك ...لا نسمعك إلا فى المناسبات ..كعصام رحمة الله عليه..

ابتسم وقال : وهذه الأنشودة كأنها لعصام رحمه الله أيضا..

وأنا كل جموح طامح ...مضرم الخطو على درب العلا

لم تزل ملئ فمى أنشودة ...صاغها الفجر وغناها الأل

تركت سلوان البرنامج الذى كانت تشاهده ووقفت على باب الغرفة ..تعلقت عيناه بها لثوان ... لم تكن أول مرة ينظر إليها ..لكنها كانت أول مرة يترك لنفسه لجامها ..كانت ثوان كأنها دهر..

جف ريقها .. لم يكن ينظر إليها هكذا أبدا ..ثمة شئ ما نكسر فى المتوازيات

عندما أدرك هو هذه الحقيقة أولا لم يستطع أن يكمل.. أخفض عينيه وأكمل

..

فانتشوا فى كل أرض عبقا ...وانتضوا فى كل ساح أملا

ونما الجيل على آثارهم .. مؤمنا مستمسكا مستبسلا

وأضاؤا أى جفن حائر ...مر فى أفيائهم ما اكتحلا ؟؟!

هكذا كانوا فلا كنا إذا ..ما اقتبسنا من سناهم شعلا

رحلة للمجد شقوا دربها ...كم تمنى المجد أن نرتحلا

فأنا النور الذى يغرقه ...وأنا الجرح الذى ما اندملا

عندما أكملها أمسك بإبهامه وهو يضغط على مفاصله ..ما الذى حدث ؟؟

لا!

كان والده يسألها عن شئ ما عندما جلست أمامه مباشرة..

رآها تتلاعب بأصابعها ..فابتسم ..ورأت هى ابتسامته تلك ..فرمقته فى زجر ..قام وهو يقول : نسيت شيئا مهما عندى فى الجامعه يا عماه ..دقائق وأعود ..ولم يعد..

بعد صلاة الفجر جلست لتقرأ .. لم تستطع التركيز ..لا ..براء ؟! وهكذا ..بلا أى مقدمات..

أما هو فقد كان أكثر حسما فى الإدراك ..رأى الأمر مبررا تماما ..حتى بقوانينه الشخصية .. لم يعد للحسابات الرياضية مرة أخرى ..كان يجمعه بها تشابها قلبيا وروحيا ..وقربا ..وأما الشغف فهذا ما حدث بالأمس..

كون الأمر تأخر قليلا فلعله كان حاصلا ولجام قلبه العقلى لم يسلم أبدا ..وأخيرا سلم بالأمس..

وعندما خرج بعد والده وعمه من المسجد فى الصلاة ابتسم فى نفسه وقال : وداونى بالتى كانت هى الداء!

لم يحادثها أبدا طوال اليوم.. فى صلاة التراويح قال أنس : وجهك ..ماذا به ؟؟

قال : مابه ؟

قال : فيه ..لا أدرى ..لا يعرف لك صدقا..

ابتسم وقال : صدقت ..لا يعرف لى ..وعندما غادرت عمته والعائلة بعد التراويح سلم عليهم بشكل عام ..ولم يخصها بحديث كما كانت العادة من قبل ..بعدما عادت بيومين أدركت أن الأمر مبررا بالفعل ..أقدار الله جعلته على غير موعد فحسب ..أو جعلت إدراكه على غير موعد.. اشتد فى العزم بعدها كعادته فى كل رمضان..

فى العشر الأواخر اعتكف مع أنس فى نفس المسجد ..خرج من المسجد ليلا للربع ساعة التى اشترطها فى أول اعتكافه ..كان أنس يقول له : تعرف ماهو شرط العم صلاح .. قراءة الجريدة ..يخرج كل صباح لقراءة الجريدة..

ابتسم وقال : ليس كشرطك يا أنيس ..تلك الخمس دقائق قبل السحور..

قال انس : استغفر الله ..بدأ مسلسل أحقاد خفية ..يارجل تلك من المباح الذى نتقوى به على الطاعة..

ابتسم براء وقال : طيب ..أكرمك الله بمباحاتك..

التفت اليه أنس وقال : براء ..مابك ؟؟

ضحك وقال : مابى ..قصصت شعرى .. قال أنس : لاأدرى..

التفت إلى ساعته وقال : انتهى الوقت ..سأدخل إلى المسجد..

وطلع فجر يوم العيد ..وهو يعزم فى نفسه ما سيفعله ...بعدما خرج من صلاة الفجر ترك والده يهنئ الناس بالعيد وأمسك بهاتفه ..هاتف اسما معينا..

وعندما أجابت على الهاتف قال : سلوان ،،كل عام وأنت بخير ..وسكت قليلا ثم قال : أحبك

كانت صبيحة العيد.. وكان صوته وتهنئته مفاجئة.. وكلمة أحبك من صوته دونا عن كل الدنيا بها شئ ما..

تقطر صدقا.. وعشقا.. قالت سلوان : ثم ماذا ؟؟

قال : إيمان صادق ممتد لا ينقطع.. بك.. أنا أؤمن بك كالمرأة الوحيدة التى تستطيع فعل هذا بى..

قاطعته : براء.. كفى.. قال فى بسمة محب : ولماذا ؟؟

قالت : لأننى سأذهب للصلاة الآن.. أكمل عندما أعود.. أريد أن أذهب لصلاة العيد وبى بقية من خشوع.. صمتت قليلا ثم قالت : أتعلم بأنك أفسدت كل ما فعلته فى هذا الشهر بهذه الدقيقة..

قال : كأنك قلت شيئا..

قالت : لقد قلت.. قال : وقد سمعت.. لحظة واحدة قبل أن تذهبى للصلاة ..فى كتاب الله عز وجل وفى عرضه لسورة يوسف" امرأة العزيز تراود فتاها عن

نفسه قد شغفها حبا وإنا لنراها فى ضلال مبين " ولم تنكر الآية منطق النساء ..كانها بمثابة الإقرار بان حالة الحب تبرر بشكل جزئى كل مايفعله المحب ..أما الضلال المبين فهذا حكم على الصورة بأكملها ففحسب.. لاحكم على الأفعال.. ثم مغيث الذى تشفع له رسول الله.. أتظنين أنه كان يكتفى فقط بتتبعها.. ألا تظنين أنه ربما تعلق بخمارها.. بطرف ثوبها.. بل ربما بيدها..

قالت : أين تعلمت لى أعناق النصوص يابراء ؟؟

قال : فى عينيك.. أغلقت عندها الهاتف..

بعد صلاة العيد قال أنس : وجهك.. وأنا أقسم على هذا.. به شئ ما..

ابتسم وقال : مثل ماذا ؟؟

قال أنس : مثل... والله لا أدرى .. وجهك به خضوع ما.. وله ما..

قال : أو حب ما مثلا..كل الخيارات متاحة أمامك..

قال أنس : وعزة نفسك أين تذهب ؟؟ نعم أنت فاتنة إنما!

قال : لا تذهب.. عندها تكون هى نفسى.. وعزتها لى أقتن..

كبر أنس وقال : منذ متى هذه الحالة ياكيوبيد ؟؟ ضعنى فى الصورة فأنا أراك يوميا منذ بداية الشهر ولم يبد عليك ابدا أنك ستكون بهذه الحال صبيحة العيد..

ابتسم وقال : وما قيمة الوقت ؟؟

ضحك أنس ضحكا متواصلا وقال : ذكرنى أن أرسل لمن فعلت بك هذا إكليل ورد.. صدقا امرأة لا كالنساء.. وضع يده فى وجهه وقال : أنس.. ابق بعيدا..

قال أنس : وتغار ؟؟

قال : أغار عليك من عينى ومنى.. ومنك ومن زمانك والمكان..

ولو انى خبئتك فى عيونى.. إلى يوم القيامة ما كفانى..

وضع والده يده على كتفه وكتف أنس وهو يقول : كل عام وأنتم بخير.. ها يا أنس أين ستذهب الآن ؟؟

قال أنس : سأذهب لأبى.. الطريق طويل..

ربت محمود على كتفه وقال : أعانك الله.. أبلغ والدك سلامى.. وقل له : إن لكم إخوانا لا تعرفونهم أنتم أقرب إليهم من نفوسهم التى بين جنبيهم..

اومأ أنس فى خجل وقال : بإذن الله ياسيدى.. بإذن الله..

وبراء يغادر مع والده قال أنس فى أذنه : أنقذك والدك منى.. والله سأعرفها ..ابتسم وقال : تعرفها..

تحمل اليوم كله مع والده وهو يمضى من مكان لمكان مع اقاربهم.. وأصدقاء والده.. عندما خرجوا من بيت صديق لوالده قال والده فى دهشة : براء.. ألا تلاحظ أن الله عف لسانك اليوم ولم تتذمر.. من كان يحلم أن تدخل بيت عمك على ولا يضيق خلقك كالمعتاد..

قال : الدنيا يا أبى.. تغير من لا يتغير..

فى المساء خرج مع أنس وبعض رفاقهم فى الجامعه فى رحلة نيلية... كان أنس للتو قد عاد من زيارته لوالده.. زيارة يوم العيد

مال عليه أنس وقال : منذ متى كفرت بالحساب والمنطق الرياضى ؟؟

ابتسم وقال : لاأدرى.. لا أدرى متى.. لكننى أعلم الآن كفرى به.. ماعاد بى ذرة من إيمان..

قال أنس : بصدق أنا أتعجب.. ما الذى حدث.. كنت فتى... لست بالطبع عاديا.. لكنك كنت إلى أيام ذلك المغرور الذى لا ترضيه امرأة..

قال : فى لحظة عجيبة لو وصفتها لن تطاوعنى الكلمات.. رأيتها.. عقلا ..وروحا.. وأنثى.. كانت فاتنة إلى حد لايوصف.. كانت.. حسبك يا أنس ..التنظير لا يفيد فى مثل هذا الحال..

ضحك أنس نصف ضحكة وقال : أنت عاشق يا براء..

أومأ برأسه وقال : داء أفئدة الكرام.. لكنه لى ليس داء.. بل منحة ربانية ...نفحة إلهية.. سر سماوى.. إن شئت قل دواء أفئدة الكرام.. ضحك أنس وقال : مابين طرفة عين وانتباهتها.. يبدل الله من حال إلى حال حالتك هذه خطرة.. فإن كنت ستذهب لشقيقتك وعمتك غدا كما قلت فلا أنصحك أن تراها.. إن كان لك من حسنات فى رمضان فستفسدها..

قال : ألا تعلم أن ابن القيم نقل فى روضة المحبين جواز الوصل..

قال أنس : نعم نعم.. طالما وصلت لهذه المرحلة فلن أجادلك.. الجدل مع مثلك حرام ! تلوى أعناق النصوص يابراء ؟؟ !سبحان الله..

قال وتنهد طويلا : لا تعلم مابى.. كأنه فالق كبدى.. ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها...

قال جواد وهو يتطلع إلى الفتى الواقف أمامه بجلد عجيب : كما تقول ..فالرجل هو من اريد.. مازال حيا!

اومأ فؤاد وقال : نعم ياسيدى.. مازال حيا.. هم فى جيش الأنصار يطلقون عليه" مهاجر " فحسب.. أبو عمر المهاجر.. لكن اسم مهاجر دارج أكثر ..فى منتصف الأربعينيات كما قلت ياسيدى.. ملامحه.. قال جواد مقاطعا : أعرفها.. أعرفها.. كيف ذهب إذن ؟؟

قال : رجلنا فى أفغانستان.. الذى تركته يتابع تنسيق الأسلحه والعمليات العسكرية.. سجاد.. تابع الأمر واخبرنى أن اثنين فقط من القيادة هما اللذان يعرفان انه لم يمت.. ولهذا عندما قبضوا على الرجل الذى أطلق الرصاص عليه لم يقتله أبو يوسف حمزة.. مع أنه أقرب الناس إليه.. الرجل قتل بالفعل لكن بتهمة الخيانة ومساعدة الأعداء..

أرسلت بعد سجاد على أكبر الباكستانى.. أخبرنى أنه نقل رجلا لا يعرفه.. لا يحمل سوى كلاشن وحقيبة به أوراق وكتب كما رأى عندما فتحها.. أوصله إلى حدود الجمهوريات السوفييتيه.. داغستان بالتحديد.. واستقبله هناك حمدى عبد المؤمن.. تعرفه بالطبع يا سيدى.. أومأ جواد : نعم..

هم بالإكمال فقال : كفى يافؤاد.. أعتقد انى عرفت الباقى..

فكر فى سرعه.. لو كان عصام ميتا بالفعل لما استمر القادة على صلتهم به والعلاقة العسكرية الفريدة من نوعها التى ربطت بينهما.. فعصام كان صاحب فكرة اللعب على جميع الأوتار.. خاصة فيما يتعلق بالمدد العسكرى ونقل الخبرات.. ولم يكن الرضا واضحا على بقية القادة..

بدا له الأمر منطقيا فقال : فؤاد.. هاتف سجاد وعلى أكبر..سأذهب لباكستان بعد العيد مباشرة..

تطلع إلى الخاتم بيديه.. وتألق النقش الفارسى تحت الفص : الله ثقتى.. فابتسم وقال : لطالما كان ثقتك..

عندما عاد إلى منزله استقبله هادى ولده على الباب.. كان وجهه به خطب ما.. ربت على كتفه وقال : مايضايقك يوم العيد يا شيخ هادى ؟؟

قال هادى : السيد مهدى.. لقد استقال من البرلمان العراقى..

تتطلع إليه وقال : ربما هو لن يستطيع المتابعه هكذا.. هو فى مشهد منذ عام تقريبا.. وربما يجد نفسه مقصرا..

قال هادى : لا يا أبى.. لقد استقال وعلل الإستقاله بعدم الجدوى... عدم جدوى مايفعله فى ظل الإحتلال والتدخلات الخارجية.. سكت جواد عند هذه الكلمة طويلا.. فكر : لقد تمرد الرجل إذن...

ربت على خد هادى وقال : كل منا له حساباته الخاصة.. وما يدريك.. لعل هذا أفضل له وللعراق..

قال هادى : لن أهتم إذن بأخبار برلمان لا يكون هو عضوا فيه... ضحك جواد وقال : كما تشاء..

أغلق على نفسه باب المكتب.. أخرج ورقا قديما من درج مكتبه.. وريقة واحدة إن صح التعبير.. بها عنوان ورقم هاتف.. استخدم هذا العنوان مرة واحدة منذ أربعة أعوام تقريبا.. عندما طلب منه عصام على هامش لقائهما أن

يوصل الرصاصة الفضية التى أعطاه إياها مع كتاب" المعالم " إلى ذاك العنوان

..أعطاه يومها ورقة كتب عليها" على طريق إليك معالمه.."

ضغط أزرار الهاتف فى بطء.. كان الصوت الآتى عميقا وهادئا.. يشبه صوت

عصام قليلا..

قال فى هدوء : السلام عليكم.. كيف حالك ؟ المهندس محمود إن لم أخطئ

رد محمود : نعم..

قال : أنت لن تعرفنى.. أنا من عند..... صمت طويلا ثم قال : من

عند مهاجر..

استعاد محمود ذكرى أحد الأيام الشتوية الباردة جدا.. وعصام يكتب محاضرة

سريعة سيلقيها غدا وختم المحاضرة بإمضاء:

مهاجر...

قال محمود : رحمه الله..

قال : أريد لقائك ياسيدى.. بعدأسبوعين بالضبط..

رد محمود : أين ؟؟

قال : فى بيتك.. وإن لم أثقل عليك.. جهز غرفة خالية فى بيتك.. لفتاة فى الرابعة عشر.. اسمها سيرين..

لم يفق محمود من الدهشة مباشرة لكنه قال : أنتظرك..

أطرق برأسه يفكر.. أهى ابنته.. بنت عصام.. بكى.. بكى عند هذه النقطة ..تمنى لو كانت ابنته فعلا.. فيكفيه أن يتلمس يدها.. وجهها.. ويعرف أنها ابنة شقيق روحه..

دخلت عليه منال التى قالت : محمود.. وجهك مابه ؟؟

أسند رأسه على كتفها وقال : تعبت .. تعبت فحسب..

فى الصباح الباكر كان براء يرتدى ثيابه ليذهب مع أنس الذى كان ذاهبا بطبيعة الحال إلى زوجته.. قالت والدته : أتعرف.. اشتقت إلى سلوان.. لو وافق والدها هاتها معك.. لتقضى بقية العيد معنا..

قال وهو يخفى اضطرام النار بقلبه : أفعل يا أمى..

قال والده : بثينة ستأتى معك بالطبع هى وبنيها.. لا تثقل عليها بمزاحك ..قال : حسنا يا أبى..

قال والده : وسلوان.. قال : مابها سلوان ؟؟

قال : إن جاءت لا تزعجها ككل مرة.. امنحها شيئا من رحمتك هذه التى أراها اليوم.. قال : حسنا..

كانت الشمس ساطعة على غير العادة فى ذلك الجبل الأخضر.. العادة أن الأغصان تحجب الشمس عن الظهور.. لكنها كانت جلية واضحة فى هذا اليوم..

وضع كوب الماء بيده على المكتب القديم بجوار الفراش القديم.. التقط منظاره الطبى وكتب:

ما العيد للأمة إن كان يأتى وهى ذليلة.. ضعيفة.. عاجزة..

بكماء.. ليست من معنى الأمة فى شئ إلا بلفظ الاسم فقط ؟؟

العيد لأمة كهذه ضوء على الطريق.. ذاك لأنه شرع فى بداية الدولة الإسلامية فى المدينة.. وللمتأمل أن يرى..

الماديات المجردة.. رجل فى الثالثة والخمسين.. وبلد به ثارات قديمة مهددة فى أى لحظة بالظهور.. وغرباء.. تركوا ديارهم وأموالهم.. غرباء فقراء.. وعدو بيده المال والسلطة.. عدو متربص.. ثم يشرع العيد ؟؟

نعم.. لأنه دين الفطرة.. من من المجاهدين لم يعرف لحظة من الصفاء فى ظل الحرب الضروس..

من منهم لم تمر عليه لحظة من النوم والسكينة والطائرات تهدر فوق رأسه..

من منهم لم يلمح ابتسامة أخيه قبل أن تذهب الروح لخالقها..

العيد للأمة.. بسمة شهيد.. ولحظة سكينة.. ونظرة صفاء.. لكى نستمر

..ونجاهد.. ونبقى..

مهاجر..

طرق عليه الباب حمدى. قام إليه وقال : ادخل.. مابك تقف على الباب ؟؟

أطرق حمدى برأسه وقال : رأيتك مشغولا فقلت لا أضايقك.. أطرق الباب

اولا أفضل..

ربت على كتفه وقال : لا بأس.. قال حمدى : لو كنت أحضرت ابنتك يا

سيدى.. بعض المجاهدين هنا معهم أهليهم.. قال مقاطعا : والبعض فقدوا

اهليهم أيضا.. ابنتى رتبت لها أمورها لتعود إلى مصر.. ستكون أفضل هناك..

قال حمدى : بالبعد عن أرض الجهاد..

ابتسم وقال : رائع.. مازلت كما أنت.. أتظن أن أهلنا هناك ليسوا على جهاد..

سيف الأمن المسلط على رقابهم فى كل لحظة.. وهم يقيمون الجماعات ويدعمون المجاهدين.. ويذكرون الله كثيرا.. ويعيدون فى الناس صورة المجاهد العابد.. أتظن أن أولئك ليسوا مجاهدين ؟؟

نحن نبذل دمائنا هنا.. دمائنا... لكنهم هناك يبذلون صبرهم.. وأرواحهم ..وعذابهم فى سبيل الله.. ونياتهم.. وأموالهم.. وأعمارهم تفنى فى سجون الطواغيت.. قل لى : عشرون عاما فى سجن طاغوت.. أم قذيفة من قذائف الروس تأتى وسريعا ينتهى الأمر ؟؟

وما وصلنا إلى هنا.. إلا بصبر أولئك.. بدعاء أولئك.. ابنتى.. ما يدرينى أن أحيا لها.. مازالت صغيرة.. أريدها أن تعرف هذا وذاك.. جهاد هنا.. وجهاد هناك.. فهمتنى ؟

ابتسم حمدى وقال : فهمت..

اطلع إلى صورة أرسلها له حمزة لسيرين وهى تجلس على صخرة كبيرة وتبتسم له ابتسامتها الرقيقة المميزة... قبل الصورة فى اشتياق وحب بالغين.. فى ظهر الصورة كتبت هى : أبى.. لقد حفظت القرآن كاملا.. مارأيك بى ؟؟

سيرين..

ماكان سيتزوج أبدا.. وما كان خاطر الزواج بذهنه حتى توفى إبراهيم..المصرى الوحيد الذى كان معه فى نفس المكان ونفس الكتيبة.. وكان من القلائل اللذين تزوجوا وأتوا بزوجاتهم.. كانت أسماء بحق زوجة مجاهد.. صبرت معه ..وتحملت.. وعانت.. وبذلت.. وعندما توفى إبراهيم.. بقيت فى أرض غريبة ..لاهى تستطيع العودة ولا هى تستطيع البقاء..

والأفغان بهم حدة فى الطبع لم تكن تلك الناعمة ابنة العائلة أن تتحملها لو تزوجت أفغانيا ممن طلبوها للزواج.. قال له شيخه موسى بعدما أتم مراجعة أحد المتون عليه : عصام.. لماذا لا تتزوج ؟؟

قال : لاأريد.. قال الشيخ : ترغب عن سنة رسول الله ؟؟

قال : ليس هذا.. لكن بقلبى امرأة.. لها منى عهد.. وأنا أكره أن أخونه..

قال الشيخ : ومن قال أنك تخونه.. تخونه لو نسيت.. لو غفلت.. لو سلوت عنها.. مع ان هذا طبع الأيام والسنين .. يابنى.. غريبة فى ارض لاتعرفها ..واناس لم تألفهم.. كحالك..

تزوج.. وما يدريك لعلك تجد سلوانا..

استخار أولا.. ثم خطبها.. ووافقت.. بعد عقدها مباشرة قالت له : إن أذنت لى.. حديث أريدك أن تسمعه..

قال : تفضلى.. قالت : إبراهيم.. رحمة الله عليه.. كان معك فى الجامعه ..ولطالما أخبرنى عن تلك.. تلك.. أنت تعرف من أعنى.. قال : نعم..

قالت : وأنا لم اكن لأتزوج بعد إبراهيم كما لم يكن لك أن تتزوج.. لكنها أقدار الله التى تقلبنا على الخير وإلى الخير.. ما أردت قوله : لا تشعر بالذنب إن رأيتنى أنظرها فى عينيك.. أنا رضيت وبقت أنت.. ارض ايضا..

كان يعرف أنها يوم تزوجته لم تكن تحبه.. كانت تحب إبراهيم..بصدق..

ولطالما أخطأت فى أيامهما الأولى فنادته بإبراهيم.. كان يبتسم عندها ويقول :سأغير اسمى بإذن الله..

لكنها مع الوقت أحبته.. ربما أكثر بكثير مما أحبت إبراهيم.. وكان يدرك هذا فما عاد يكتب إلى سيرين كالسابق.. رسائل المفكرات الصغيرة التى كانت تراها وتقرأها أسماء ..كان به رقة طبع تمنعه من أن يؤذى صديقا له أو رفيقا ..مابالك بزوج

يوم أن جاءت سيرين إلى الدنيا قال لها : سمها ماشئت..

ابتسمت فى وهن وقالت : سيرين..

قال: لا.. لا تسميها إذن..

قالت : بل سيرين.. أنا التى أريد أن أسميها.. أسميها على اسم امرأة نقية ..رائقة.. جميلة.. جعلت رجلا مثلك يسكن إليها

اشاح بوجهه فقالت : لاتغضب.. قلت لك من البداية.. انا رضيت

..تلمست وجهه وقالت : لاتقل لى أنك لاتحب هذا الاسم.. وكان لها ما

أرادت.. كان بها وهن وضعف جسدى منعها أن تكمل رضاع سيرين

فأرضعتها ابنة شيخه موسى..

قالت له يومها : لقد رضعت ابنتك لبان الأفغان.. دمك ولبن الأفغان.. ستر

الله علينا..

سألته يوما : عصام عصام.. سأكون كأولئك النسوة الغبيات التى تقول كل

واحدة منهن لزوجها وعينيها تنغلقان وتنفتحان فى غباء ملحوظ: أتحبنى ؟؟

قبل رأسها وقال : وقد أتتك الإجابة..

قالت : لقد وصلت كاملة.. علم أنها فهمت مايعنيه.. يحبها نعم.. لكنه

يحترمها أكثر.. فالحب طبقات بعضها دون بعض.. وفى قلب الرجل دائما

مكان أرحب لأخرى جديدة.. هذا مافهمته من منطقه.. تلمس ساعته

..لقد أحضرتها له من محل باكستانى.. تلمس الساعة وقال : رحمك الله

ياحبيبة.. رحمك الله.. توفيت منذ ثلاثة أعوام.. فى قصف على أحد معاقل الحركة فى الجبال.. تأثرت بجراح القصف وتوفيت بعده بأيام.. يوم وفاتها أحس أنه فقد أمه من جديد.. عاد غريبا بعيدا فى أرض بعيدة.. ولو كانت الدنيا كلها حوله.. كانت أنسه من الدنيا.. سكينته.. لكن سكنه كانت امرأة أخرى..

امرأة يتمثل فيها قول القائل: حوائج لم تقض.. "

راحل والشوق يهمى قبلا.. والدجى يرمق خطوى وجلا..

كان خالد يسمع الأنشودة على جهازه عندما دخلت سلوان وقالت: خالد ..رأسى توجعنى.. على الصباح هذه الأنشودة

قال خالد : ظننتك تحبينه.. أقصد تحبن أناشيد" أبوعلى.. "

هزت رأسها وقالت : نعم أحب أناشيده.. لكن ليس فى الصباح.. قال خالد :سلوان.. أنت تحبينه.. اصمتى إذن..

قالت : لحظة لحظة.. من أحب ؟؟

ضحك وقال : النشيد.. مابك ؟؟

ابتسمت عندما عادت إلى غرفتها وهى تقول : يكاد المريب أن يقول خذونى

..

رن الهاتف.. كانت بثينة.. قالت فى عجل : سلوان.. ألن نخرج كما اتفقنا

..هيا. أنتظرك عند باب البيت.. خمسة دقائق لا تتأخرى..

قالت والدتها : مابك ؟؟ وجهك متكدر.. قالت : لا..بثينة كنت سأخرج

معها أنا وأولادها.. وكنت سآخذ سمية معى.. ها.. لا تريدين ان اذهب

صحيح ؟؟

قالت والدتها فى دهشة : ولماذا ؟؟ أنا أريدك أن تذهبى..

قالت: حسنا.. قولى لسمية ترتدى ملابسها إذن..

طرقت الباب وهى تدعو فى سرها أن لايفتح هو الباب.. ظنت ان دعائها استجيب عندما فتح خالد الباب : ابتسم وقال : تفضلى.. تنتظرك منذ الصباح.. رأت براء جالسا مطرقا برأسه على الأريكة.. ضمته سمية وهى تقول :أين عيديتى ؟؟

قبلها وقال : هاهى عيديتك..

قالت بثينة : براء.. هيا..

قال : سأبقى مع خالد..

قالت : نعم ؟؟ خالد سيذهب إلى عماته اليوم.. انا أريد أن أخرج معك

..قال: حسنا.. عصام.. ليلى.. هيا..

هو لا يستطيع أن تكون فى مكان ولا يتطلع إليها.. أدرك مدى صدق أنس عندما قال : لاتذهب وانت هكذا .. تذكر كلمة عصام التى قالتها سيرين "بقلبى حديث يناقض الآيات"

وضع يده على قلبه.. لا أستطيع الأمر...,

فى مدينة الألعاب قالت بثينة :سأذهبب لأرى ما فعلت سمية بأبنائى.. وقامت من المنتصف بينهما..

عندها قالت : براء.. نحن فى الشارع.. اجعل لنقابى ولحيتك حرمة..

ضحك وقال : فظيع أمرك.. كنت قد أبرمت العهد لتوى مع نفسى أننى لن أنطق ببنت أو ابنة عمة شفة.. لكنك أنت من أفسدت الأمر..

ماذا فعلت بعد الصلاة ؟؟

قالت : لاشئ.. زرت صديقاتى وعدت إلى البيت العصر تقريبا..فى المساء خرجت أنا وإخوتى..

قال : عندما تخونك فطنتك.. يصبح الأمر صعبا..

قالت : فطنتى لم تخنى.. أنا التى أخشى أن تخون دينك..

قال : أما الحرام فالمحات دونه... والأصل فى الأشياء الإباحه..

قالت : براء.. اصمت..

قال : وستنصتين لكل الحديث.. حديث قلبى..

قالت : سأحاول.. وصمت وسكتت.. قالت بثينة عندما رأتهما : سبحان الله ..أول مرة فى حياتى أراكما لاتتناحران.. كالمعتاد.. قال : لقد رفعت ليلة القدر بالمشاحنة.. ورأيت أن أترك العيد يمر بهدوء..

ابتسمت بثينة وقالت : بارك الله فيك.. قلت لك من قبل.. الإلتزام الخلقى أهم كثيرا من أى شئ.. ضحك وقال : حسنا يا أ .بثينة.. شئ آخر تأمرينى به ؟

قالت : لا شئ.. فقط ابق هكذا.. نجح فى تجنب اللقاء بقية اليوم.. ظل بعيدا ..نفسه تنازعه ويقول : ماهكذا عهدتك يانفس.. أماهى فقد كانت تدير وجهها كل ما رأته فى جهة.. كبر فى وعيها بشدة عصام وسيرين.. الخشية ..والخوف.. والمراقبة.. أى معنى للتقوى إن لم تكن هنا.. أن يكون الوصل

لديك كالماء البارد فى شدة العطش وتخشى .. هذه محارم الله لا آتيها.. فى المغرب جلس مقابلها فى طريق الذهاب إلى القاهرة وجلست بثينة بجوارها...

قالت بثينة : براء.. ورد الرابطة.. اقرأه واجعلنا نؤمن..

تطلع إليها.. لم تكن نظرة الرجل إلى المرأة عندها... فى تلك اللحظة.. بل كانت نظرة روح تعرف قرينها.. قال فى هدوء : اللهم إنك تعلم أن هذه القلوب اجتمعت على طاعتك وتوحدت على دعوتك وتعاهدت على نصرة شريعتك فوثق اللهم رابطتها وأدم ودها واهدها سبلها واملئها بنورك الذى لا يخبو وأحيها بمعرفتك وأمتها على الشهادة فى سبيلك إنك نعم المولى ونعم النصير.. وفى نفسه قال : يارب.. تعبت..

لم يكن يتخيل أن الأمر هكذا.. بهذه الصعوبة.. على الأقل بالنسبة له.. فكر قليلا. وما المشكلة لو سلمت الأمر.. لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.. وهذا ليس..

قاطعه ضميره : بل وسعك.. أين كل أطروحات الجهاد إذن.. تبخرت عندما مسك السلاح لأول مرة ؟؟

أما هى فقد كانت تفكر.. يعز عليها أن تجمعها به كل الذكريات المؤمنة ..القرآن وهما صغار.. تسابقهما فى قصص الأنبياء.. والسيرة.. الأفكار العظيمة للنهضة. ثم تجمعهما نظرة خائنة أو كلمة لا ترضى ربهما.. لا ..حسمت الأمر فى نفسها.. لن يحدث هذا.. ماحدث بالأمس فى الصباح كان انفراجة القدر المكتوم.. أما وقد كشف الغطاء فلم الغليان إذن ؟؟عندما دخل على والده مبتسما بصعوبة بالغة رأى تلك النظرة فى عين والده.. النظرة الكاشفة التى تعرى أسرار من تنظر إليه.. نظر إليه ثم نظر إلى سلوان.. لثوان ..ثم ابتسم وضمها إليه.. وهو يهنئها بالعيد..

دخل إلى غرفته وأخرج كل الكتب من المكتبة وبدأ بترتيبها.. ولم يخرج إلا لصلاة الفجر..

بعد الصلاة أمسك والده بيده وهو يخرج قائلا : براء.. انتظر.. أريدك..

جلسا على سور المسجد القصير كالمعتاد.. قال والده : مابك ؟؟

قال : لا..قاطعه والده : براء.. مابك ؟؟

قال : أحبها يا أبى... هذا مابى.. أ}يدها..

قال والده : حسبك.. هذا الذى أردته.. لاتزد كلاما يتعب قلبى عليك.. هيا ..اذهب إلى البيت.. أو اهرب منه إن شئت.. لكن أريدك فى التاسعه بالضبط ..سنذهب إلى الإسكندريه..

ابتسم وقال : حقا..

قال والده : أأراك هكذا وأسكت.. بعينيك هم يثقل الجبال.. أنا أأثم شرعا إن تركتك هكذا..

قال : وامى ؟؟

قال : أمك هى التى لم تدعنى أنام بالأمس.. هى لاتفصح عن مابداخلها بأى شكل.. لا وجهها ولاعينيها.. لكنها قالت لى بالأمس : أدرك براء.. على وشك الغرق.. لكننى أتعجب : كنت طبيعيا جدا إلى وقت قريب..

قال : لم أدرك الأمر إلا منذ مدة قريبة.. ربت والده على كتفه وقال : رضى الله عنك وأرضاك..

عندما عاد منتصرا هو ووالده فى المساء قال له والده : لاتخبر سلوان بالأمر ..اوالدها يخبرها غدا..

ابتسم وقال : كيف ؟؟!

بعدها بأسبوع تماما.. وفى ظل تهكم أنس المتواصل وتلاعب بقية أصدقائه به واتهامه باللعب من وراء حجاب كان العقد

قال أنس له قبلها بيوم : إنما السؤال كيف وافق عمك على العقد سريعا هكذا ؟؟

قال : حرضت أبى وعمتى عليه.. وتكفلت سلوان بالباقى.. أصلا هناك سؤال ماقيمة الخطبة لو كنت أعرف لون فستان العيد الذى ارتدته وهى فى الصف: الثالث الإبتدائى.. هذا محض هزء بالبشر..

كانت جميلة.. كاجمل امرأة فى الدنيا.. وكانت قريبة جدا يومها.. لكن الأهم فى نظره أنها كانت زوجه.. يجمعهما ميثاق غليظ متين موصول بالسماء موصول" بكلمة الله.. " كانت أول كلمة قالتها بعد المباركة..

براء.. أكمل حديث العيد الذى قطعته..

مهدى..مهدى..

التفت إلى فاطمة وقال : تريدين شيئا..

قالت.. لقد وصلت إلى غلاف الكتاب ومازلت تقرأ فيه..

قال : لابأس.. ربما مللت قليلا.. سأخرج إلى الحرم.. ربما أعود فى المساء..

دخل حرم الإمام الرضا.. قبل عتبة الضريح كالمعتاد.. وجلس مستندا إلى احد أعمدة المسجد.. أخذ يفكر فى عواقب ما سيفعله .. سينشر الكتاب الذى يحتفظ بمسودته منذ سنين.. حتى لا تغرق السفينة..

عن نظرية ولاية الفقيه.. ما الذى تحتاجه لكى تبقى.. عن الشورى وإلزامها..

أهدى الكتاب منذ سنين إلى: سيدى الإمام الحسين عليه السلام.. إلى واضع اللبنة الأولى فى بناء الثورة الإسلامية العظيم

وإلى الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف.. فجر الثارات وناصر الثوار ..

حتى لا تغرق السفينة.. كانت مراجعة حقيقية وصادقة لكل أفكاره التى يؤمن بها.. منها ما أبقاه ومنها ما تركه غير مأسوف عليه.. كان يعلم أن هذا الكتاب لن يرضى أحدا إلا المنصف فحسب.. فكر فى ان مبادئه هذه تستحق أن يدفع ثمنها.. كما دفع السابقون ثمنها من قبل.. ما الفائدة من نسبته لآل البيت إن لم يكن على طريقهم.. إما مسموم أو مقتول.. يا الله.. ! فكر أنه

وصل إلى مرحلة يجب أن يكون عاقلا ومؤمنا بما يكفى ليترك وجله جانبا.. ما الذى سيحدث..

تذكر عصام وهو يقول : لصاحب الظلال" إن كلماتنا تظل أعراسا من شموع ..هامدة لا روح فيها.. حتى إذا متنا من اجلها دبت فيها الحياة وعاشت بين الأحياء" خرج من الحرم وهاتف صديق له فى بريطانيا..

لم يقل إلا كلمات مقتضبة تماما.. أحمد.. سأنشر الكتاب..

وقامت الدنيا ولم تقعد.. كان من المكانة العلمية بحيث لا يزج به فى السجون كالمعتاد فى مثل هذه الحالات..

وكان من المكانة الفكرية المجتمعية بين الناس بحيث لا يتهم بالخيانة مثلا ويصدق الناس التهمة..

كان لعائلته ذاك العمق بحيث لا تهتز صورتهم من إعلام كاذب..

قال محمود يومها على الإفطار لبراء : ألم أقل لك.. عقله يحركه.. لا الخرافات القديمة..

أومأ براء : نعم.. أنا أشهد أنه صاحب عقل لا يوصف.. عقل بارع يعرف كيف يتحرك.. كيف يبدع..

قال محمود : ستر الله عليه .. أنا أخشى عليه من اى وقت مضى..

ابتسم براء وقال : لماذا ؟؟

قال : مالا تعرفه أن مهدى لا يتراجع.. قد يتعايش مع الوضع.. لكنه يموت من أجل فكرة يؤمن بها.. من أجل يقين بين عينيه..

قال : أبى.. ألم يهاتفك من مشهد ؟؟

قال والده : نعم.. تجد هاتفه فى المفكرة.. تريده ؟؟

قال : نعم..

صلى الضحى وهاتفه.. فاجأ مهدى تماما اتصال براء.. ابتسم فى ود وقال :

كيف حالك يابنى ؟؟ خيرا ؟

قال : الحمد لله.. أنا فقط أقول لك : كلمات الشمع تحتاج روحا لتحيا

..اثبت يا سيدى على الحق..

قال مهدى : شكرا يابنى.. لكن ما الذى يجعل الحق حقا ؟؟

قال براء : إيماننا.. كلمة الصحابى الذى قال" أصبحت مؤمنا حقا " وكأنى

أرى عرش ربى بارزا.. يقينه هو الذى جعل الحق حقا.. نحن نحاسب على

نياتنا.. أليس كذلك ؟

قال مهدى : عرفت فالزم..

بعد المكالمه دخل عليه ابنه مرتضى.. سأله : لم أنت مبتسم هكذا ؟؟ ما الذى

حدث للسيد الجليل ؟؟

قال : عرفت فتى صادقا.. يشبهك..

ابتسم مرتضى وقال : يشبهنى.. أنا ؟؟

قال : يشبه يقينك.. هيا.. سأذهب إلى الحوزة.. ستاتى معى..

قال مرتضى : سأتبعك .. لدى رسم سأنهيه وآتيك..

ركب السيارة.. سمى باسم الرحمن.. حرك السيارة .. ولم يجد بها اختلافا كثيرا

..تذكر كلمة براء" عرائس الشمع تحتاج روحا لتحيا.. " ابتسم وتذكر عصام

وهو يقرأ معجبا : أنتم وأنا..

والسيف تاريخ الرجال.. ويوم موتى تحت حد السيف أو فوق الصليب الملتقى

..

لا.. كل يوم تحت عسف الظلم فى المدن الذليلة ملتقى..

فالصبح آت.. والرصاص آذان فجر النحر فى زمن الضياع..

يا ذاهبون إلى الشهادة لا وداع!

فقد السيطرة على فرامل السيارة.. كان واضحا جدا أن ثمة من تلاعب له بها

..خاصة أنها سيارة قديمة..

استجمع الشهادة فى عقله بسرعه.. هو يجرح الآن.. روحه تخرج من جسده

..الدماء تسيل من غالب أجزاءه.. عقله يغيب شيئا فشيئا.. كذا الرؤية

..تجمعت صور أحبائه فى ذهنه.. والده.. باقر.. مجتبى.. مرتضى.. فاطمة

..زينب.. خديجة.. سجاد.. سلمان .. عصام.. محمود.. منعم.. سيرين

..براء.. ستحيا كلماته.. ستحيا..

كان براء عند سلوان فى المساء.. عندما دخل عمه متكدرا.. سأله مابك ؟؟

قال فى صوت يكاد يذهب : مهدى.. لقد مات.. مات اليوم فى الصباح..

قال براء : كيف ؟؟ لقد هاتفته فى الصباح ؟

قلب منعم كفيه فى ذهول وقال : لاأدرى.....

وقف وقال لسلوان : نخرج قليلا.. ربتت على يده وقالت : لابأس..

وعلى شاطئ البحر بكى.. لم يشعر إلا وهو يبكى.. أمسكت بكفه وهى تقول براء.. مابك ؟؟

قال : لقد مات.. ولا أظن أن الحادث طبيعيا كما قال عمى.. لقد نفث الروح بكلماته.. مات.. دمعت عيناه وهو يقول : سأذهب يوما ما.. روحى ستخرج يوما ما.. لا أريدها أن تخرج على فراشى.. أريدها أن تخرج لمبدأ ..لقضية.. لرسالة خالدة.. لحق أعتقده.. أريدها أن تذهب كما ذهبت كل أرواحهم من قبل.. ضمته فى حرص كأنه حرص أم حانية وقالت : ستفعل ..ستفعل يوما ما.. أنت على الطريق ولا أظنك تتبع السبل.. قال : يااارب ..

بعدها بيومين كان جواد فى القاهرة.. بعد أسبوعين من العيد كما وعد محمود ..وكانت معه سيرين.. كانت مبهورة من الرحلة ومشقتها.. لقد رتب والدها كل شئ.. جواز سفر لها من باكستان.. أوراق المدرسة التى كانت بها.. كل شئ..

وهى تودع حمزة منذ أسبوع تقريبا قالت له : هل سترى أبى..

قال : نعم..

قالت : قبل لى عيناه إذن.. وقل له سأكون مجاهدتك التى تتمنى.. حسنا ؟؟

قال حمزة : حسنا..

هاتف محمود وقال : نحن فى القاهرة.. على باب منزلك..

قال براء : من يا أبى . . رد والده : أخبرك.. الرجل سيصعد الآن..

كان بصحبته قمر صغير.. ذى عينين سوداوين.. لكن وجهها كله وجه عصام

..ترتدى خمارا أسود وعباءة سوداء..

تطلع إليها براء فى دهشة.. ثم إلى الرجل الأربعينى معها.. ثم تطلع إلى والده..

قال والده : ابنة عمك.. ابنة عصام..

ضمه الرجل الأربعينى إليه وقال : انت إذا الفتى الذى كبر.. وأهداك المعالم..

قال والده : السيد عمران.. هو الذى أوصلها إلى هنا..

وقف براء مبهورا بها وهو يقول : ألا تتحدثين ؟؟

قالت بلغة عربية منغمة بلكنة فارسية : نعم.. أتحدث.. أنا سيرين.. سيرين عصام.. ضمتها والدته طويلا.. وكثيرا جدا أيضا.. أما براء فقد ظل منبهرا ..فقط.. قال جواد : معذرة يا دكتور.. أتسمح لى بدقائق.. وتترك سيرينا هنا ..مع خالتها..

قال جواد فى حسم : هذه الرسالة منه.. لم يمت كما قيل منذ عامين.. اختار رحلة أخرى فى بلد آخر.....

بودى لو بقيت.. لكن رحلتى طويلة..

قال براء : أنرتنا ياسيدى.. ربت الرجل على كتفه وقال : بل أهل النور أنتم ..هل أرى سيرينا مرة أخرى..

جاءت سيرين.. أمسك بكتفيها الصغيرتين.. صارت فى الرابعة عشر ومازالت صغيرة كما هى .. قال بحب : مجاهدتى الصغيرة.. حافظى على وعد أبيك ..حسنا..

وهو ينزل من بيت محمود أحس أنه فعل أرجى عمل له فى دنياه.. أرجى عمل بعيدا عن ساحات القتال..

كان فى إيصالها بنفسه مخاطرة لا ينبغى له فعلها.. خاطر بوضعه الأمنى تماما ..

وكان فى إيصالها مخالفة لما عهد عنه بأنه رجل المصلحة الأول فى المقاومة.. لا يفعل شيئا إلا وسيأخذ أشياء فى المقابل.. لكنها ابنة عصام.. الرجل الوحيد الذى أحس أنه يرى روحه فيه.. يشبهه.. يرى بعينه.. الرجل الوحيد الذى أحس أنه يرى نهاية الطريق واضحة تماما.. بلا شك ولا ريب.. بين عينيه بصيرة لا تخطئ.. وفراسة لا تخيب..

قال براء : أبى.. هل أقرأها ؟؟

وضعها والده فى يده وقال : لاتنس أن تحرقها بعد أن تقرأها.. هذه الأيام لاتعرف متى يدخل زوار الفجر بيتك..

كان الخط سريعا.. واضحا.. بعد السلام قال..

كيف حالك يا أخى.. اشتقتك كأشد ما يشتاق امرؤ إخوانه.. لكنه طريق الله الذى اخترناه من سنين..

طريق الغربة التى لاتنتهى إلا هناك.. تحت العرش.. فى الفردوس الأعلى بإذن الله..

هذه ابنتى يأخى.. ثمرة روحى.. حافظ عليها واهتم بها كبراء وبثينة.. أنا أعلم أن مثلك لا يوصى بهذا.. لكنها كالنية لقاصد الصلاة.. تزيد من عزمه فحسب..

ولو شئت – وهذه رغبتى الخاصة – أشرك سيرين فى تربيتها.. هى ستحفظها جيدا.. كما حفظتنى من قبل.. أعلم أنك لم تكن على صلة طيبة بها يامحمود

.لكنها والله أنقى مما قد يدرك كل أحد.. وأعقل وأدين مما قد يبدوا عليها

..ولا أظن أن السنين تغير مثلها.. لو ارتأيت أن المصلحة فى عكس ذلك فلا

بأس.. كما تشاء..

أتعلم.. ما نزلت منزلا ولا وطئت أرضا إلا ذكرتك.. ذكرت قراءتك.. ودعائك

..وحزنك.. ودمعك..

ورفعت رأسى إلى السماء وقلت : يارب.. يسر أمره وأصلح باله وحاله..

أعتذر عن قصر الحديث.. لكننى أكتبه على عجل فالوقت محدود..

أبلغ سلامى بنيك.. وقل لبراء.. الطريق فى اوله وعر.. لكن المعونة على قدر

المؤونة.. والعاقل من تعب قليلا ليستريح كثيرا

بارك الله فى عمرك على طاعته... وأبقاك لأمتك.. نور يضئ ليلها..

عصام..

التفت براء فى دهشة إلى والده وقال : إنه يتحدث كما لوكان يراك الآن تماما

..

ابتسم والده فى حزن وقال : المؤمن يرى بنور الله يا براء.. أحرقها هيا..

فى صباح اليوم التالى كان مع سيرين.. قال فى تردد : أستاذتى.. هل تعلمين

ان عمى عصام تزوج ؟؟

ابتسمت وقالت : نعم.. رأيت هذا فى مفكراته التى أحضرتها لى.. لو كنت

نسيت..

قال : حسنا؟؟

قالت : اجلس يابراء.. متى تزوج عصام ؟؟ منذ أربعة عشر عاما فحسب

..أى بعد قرابة عشر سنوات من افتراقنا.. وقد اعتدت أن أقصى مدة للبقاء

على الذكرى أربع أو خمس سنوات.. ثم زواجه كان مبررا.. وعهدنا يابنى كان

عهد حب لا عهد تملك.. أنا لو كنت تزوجت لم اكن لأصبح خائنة فى نظره ابدا.. وهذا ما أنا على يقين منه..

لكننى لم أتزوج لأننى لم أإر رجلا غيره.. كان هو الرجل فى نظرى فحسب ..هذا هو السبب..

كان عهدنا عهد اثنين على يقين أنهما لن يلتقيا مرة أخرى.. عهد لا يستطيعه كل أحد.. فهمتنى..

قال : افهمك..

قالت : ما الذى أعلمك أنه تزوج ؟؟

قال : ابنته.. قالت : جاءت إلى هنا ؟؟

قال : نعم.. اسمها سيرين..

قالت فى بهجة : سآتى معك.. أريد أن أرى ابنته..

كان الموقف شديدا على سيرين.. فتلك الفتاة الصغيرة.. الناعمة.. بالغة الرقة ..التى لا تحمل عينى عصام.. بل عين أخرى كانت زوجته دونا عن كل نساء الدنيا.. تلك الفتاة من دمائه هو .. ليست كبراء مثلا.. بل هى قطعة منه ..من روحه.. حملها على يديه.. ورفعها على كتفيه.. أقرأها كتاب الله.. لا عبها.. علمها.. ابنته.. بلا ريب..

قالت سيرين الصغيرة : أتعرفينى يا خالة ؟؟

قالت سيرين فى حب : أكثر مما تتخيلين.. أكثر بكثير..

..

أسند جواد رأسه إلى السرير الذى يرقد عليه..

تلك الرحلة مكنته من معرفة ما سيحدث فى الأيام القادمة فى أفغانستان ..أسلوب العمليات الجديدة.. وأخذ تأكيدا من القيادة هناك بعدم المسؤولية

عن أى عملية تتعارض مع عمل المقاومة.. أمسك هاتفه.. وجاء صوت غادة قريبا حبيبا إليه:

قالت : أنت تهاتفنى.. عجيب!

ابتسم وقال : غدا سآتى بإذن الله.. نهم قولى لهادى أننى حضرت جنازة السيد مهدى فى مشهد قبل أيام.. وقرأت له الفاتحة هناك.. لا لن يدفن فى كربلاء ..أوصى بأن يدفن فى الأرض التى يموت بها.. وقد دفن بالفعل..

قالت : احفظ لنا نفسك فحسب..

ضحك وقال : ما الذى سيحدث ؟؟ حسنا سأحفظ نفسى..

فتح حاسبه وبسرعة مسح كل ما يتعلق بعصام وتوابع الأمر.. كانت عادة له مسح كل أمر ينتهى لديه..

أرسل رسالة أخيرة لحمزة..

قل لعصام.. من كان الله ثقته.. فمن أين يؤتى ؟؟

ماحدث فى تلك الليلة كان أمرا عجيبا حقا..

كان عصام يقول لحمدى.. سأخرج أنا بدلا عنك هذه المرة.. اشتقت لصوت الرصاص..

ارتدى ثيابه فى ثقة بالغة.. صلى ركعتين.. وقف أمام المرآه.. وهذب شعره ولحيته.. وفى قلبه تكون يقين لا يشبهه شئ بأنه لن يعود.. لقد انتهت كل دنياه.. اطمئن على ابنته.. وأنهى كتابه الأخير:

أوراق مهاجر.. هو لايعرف من اين أتاه ذلك اليقين.. لكنه متأكد منه.. على يقين به..

قام جواد من على فراشه واعتزم الذهاب غلى جامع قريب ليصلى العشاء..

وقف أمام المرآة وابتسم.. تذكر سيرين منذ أيام وهى فى مشهد.. فى طريق العودة من جنازة مهدى وهى تقول : أتعلم أنك تشبه ابى.. خاصة وانت تنظر إلى الناس.. أشعر أن أبى ينظر إلى الناس مشفقا..

هو يعرف لماذا ينظر هذه النظرة إلى الناس : يشفق عليهم من أن لا يذوقوا لحظة الأنس مع عزف الرصاص.. من لحظة واحدة فى معية الله.. من همس قلب يقول " اللهم خذ من دمانا اليوم حتى ترضى"

أدبيات الجهاد والاستشهاد تتشابه بينه وبين عصام كثيرا.. حتى تكاد تتطابق ..سبع رصاصات..

استقرت فى صدر كل منهما فى ذات الدقائق تقريبا.. فى 6:45 مساءا.. نال جواد الرصاصات على سلم مدخل البناية.. من مسدس كاتم للصوت.. ونال عصام سبع رصاصات أيضا من بندقية قناص روسى تربص له تحديدا..

منذ أعوام.. جلس غريبين على مائدة مطعم فى بلد لا ينتمى أى منهما لها ..غريبين فى الأرض.. وفى العقيدة..

وكان أحدهما يقول : يا ذاهبون إلى الشهادة لا وداع.. أخشى أن أسير كل هذه المسافة ولا أصل..

قبل حمزة عينى عصام التى ذهبت روحها وقال : ستكون مجاهدتك التى تتمنى يا أخى..

تجلد وهو يبدفن عصام فى قمة الجبل كما أوصى.. ربت حمدى على كتفه وقال : اصبر يا أخى..

التفت حمزة إليه وقال : لقد دفنت نور عمرى.. وسأصبر. .

بكى براء فى صمت وهو يرى جنازة جواد فى الأخبار ويقلب نظره إلى شاشة الكمبيوتر التى حملت نعى عصام.. أبو عمر المهاجر.... التفت لأبيه وقال : أكنت تعرف أن هذا هو هذا ؟؟

قال : لا..

قرأ أخيرا الكلمات المنشورة فى الموقع بأنها خاتمة كتاب عصام الذى كتبه فى أعلى الجبال الشم هناك..

"نحن.. من نحن فى دنيا الله سوى أرواح.. أرواح لن ترتقى قدر أنملة او ترتفع إلا بمقدار ما تعمل بمقتضى وجودها.. مقتضى وجودها هو أصل خلقتها

..نحن.. نفحة من روح الله.. فمقتضى وجودنا أن نكون لصاحب أرواحنا..

أن نكون له.. لا لغيره.. كل ألم فى غير الله زائل.. كل وجد بغير الله ينتهى

..كل حبل أصله فى غير السماء منقطع..

كل كلمة حب لاتعرف ربها أولا كلمة خائنة.. كل عهد لا ينتهى فى الجنة عهد فاسد..

نحن.. أرواح لله.. أرواح تعرف منذ خطت الخطوة الأولى على الطريق إلى أين تنتهى..

إلى دليل الحب الأعظم.. إلى كلمة الحب الأصدق فى الدنيا..

إلى الشهادة"

التفت براء إلى أبيه : أبى.. هل سأصل ؟؟

ابتسم والده فى حب وقال : مادمت على الطريق ستصل...

آلاء غنيم

19/4/1432.